# التَّعرِيف بكُتُبِ التَّفْسِير

## حَتّى نِهَايةِ القَرْن الخامس الهِجْرِيّ

للأستاذ الدكتور

**مُساعد بن سليمان بن ناصر الطيَّار**

محاضرات صوتية اعتنى بإخراجها

**عبد الرحمن بن عادل عبد العال المشد**

[لم يراجعِ المُحاضِرُ هذه المادة المنشورة]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مقدِّمة المعتني

الحمد لله حمدًا يبلغني رضاه، وإن كان جَهْد الحمد لا يفي بشكر نعمة واحدة من نعمه، بعث إلينا خاتم رسله، وأنزل عليه أفضل كتبه، ونظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، فاللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد كلما تعاقب الليل والنهار، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعن الصحابة، والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدين، أما بعد؛

فهذا الكتاب في الأصل محاضراتٌ صوتيةٌ ألقاها فضيلة شيخنا الأستاذ الدكتور: مساعد بن سليمان الطيار، بعنوان: (التعريف بكتب التفسير حتى نهاية القرن السادس الهجري).

وقد ألقى فضيلته هذه الدورة مرتين؛ الأولى بالمنطقة الشرقية بالسعودية سنة (١٤٢٣هـ)، والثانية ضمن الدورة العلمية العاشرة بجامع الملك عبد العزيز بحي (المعابدة) بمكة المكرمة، سنة (١٤٢٥هـ)، والمادة العلمية في الدورتين متشابهة، سوى المحاضرة الأخيرة[(١)].

ونظراً لما اشتملت عليه هذه الدورة من تعريفات مختصرة لكتب التفسير، ومباحث أخرى مهمة، تنفع المبتدي، وتذكر المنتهي؛ رأيت أن أقوم بتحويلها من دروس صوتية إلى مادة مكتوبة، فاعتنيت بها صياغةً، وتوثيقاً، وتعليقاً، من أولها حتى نهاية حديث الشيخ عن القرن الخامس، وانتهيت من ذلك في الرابع عشر من شهر جماد الثاني لسنة (١٤٣٣هـ)، وصحَّ مني العزم على نشرها هذه الأيام.

---

(١) وجه الاختلاف بين الدورتين في المحاضرة الأخيرة، فقد تحدث الشيخ في إحدى الدورتين في هذه المحاضرة عن: (تفسير السمعاني، ومعالم التنزيل للبغوي، والكشاف للزمخشري)، وأما في الدورة الثانية فتحدث عن: (تفسير السمعاني، وكتاب التفسير من مستدرك الحاكم، ودُرَّةِ التنزيل للإسكافي، والإيضاح لمكي، ولطائف الإشارات للقشيري).

وقد اتبعت المنهج التالي في العناية بهذه المحاضرات:-

١- قمت بصياغة المادة الصوتية صياغة علمية، مراعياً ما لابد منه عند النشر.

٢- علَّقت على بعض المواطن التي تحتاج إلى تعليق، مع الحرص على عدم الخروج إلى شيءٍ زائدٍ بعيد عن هدف الدورة، فلم أضع تعليقاً إلا بمقدار ما يخدم النص ويوضحه.

٣- قابلت النقول والاقتباسات التي يذكرها الشيخ بمصادرها في الكتب، وعدَّلت منها ما يلزم، وأثبتها بنصها إن كانت مذكورة بالمعنى، مع الإحالة إلى المصدر بذكر الجزء والصفحة.

٤- عزوت المعلومات التي يذكرها الشيخ -ولو بالمعنى- إلى المصادر الأصلية مع ذكر الجزء والصفحة.

٥- إذا تناول الشيخ مسألةً، وكان قد تناولها بشكل أوسع في كتاب آخر من مؤلفاته؛ فإنني أحيل إلى مواضعها من كتبه، للمزيد من الاطلاع عليها، وأُحيل إلى غير مؤلفات الشيخ أحياناً لتمكن القاريء من الاطلاع على تفاصيل المسألة المطروحة.

٦- ترجمت بإيجاز لأصحاب الكتب التي عرَّف الشيخ بكتبهم في الدورة، مقتصراً على ذكر اسم المؤلِّف، ونسبه، ونشأته، وشهرته العلمية، وبعض مؤلفاته، ووفاته، محيلاً في الحاشية إلى بعض المصادر التي ترجمت له.

٧- عزوت الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب إلى مصادرها عزواً موجزاً بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، مع نقل كلام أهل العلم عليه صحةً وضعفًا، إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما؛ فاكتفيت بتخريجه منهما.

٨- عزوت القراءات الواردة في الكتاب إلى مصدرين من المصادر المتقدمة.

٩- كتبت تاريخ الوفاة بجانب كل عَلَمٍ يأتي ذكره.

١٠- رسمت الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوتها بذكر السورة ورقم الآية بعدها.

١١- التزمت بعلامات الترقيم وقواعد الإملاء الحديثة.

١٢- ذيَّلت الكتاب بفهرس للموضوعات، لتسهيل الوصول إلى المراد.

**وبدا لي** أن أنشر هذا الكتاب إلكترونياً في هذه العشر المباركة من شهر رمضان لسنة (١٤٣٩هـ)، سائلاً الله ﷻ أن يتقبله، وينفع به، وأن يجزي شيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور: مساعد الطيار، خير الجزاء على ما يقدِّمه من خدمة لهذا العلم الجليل.

هذا وما كان في هذا الكتاب من توفيق فمن الله ﷻ، وما كان فيه من خطإٍ أو سهوٍ فمن نفسي ومن الشيطان، أعاذني الله من شرِّهما.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد ..

**كتبه:**

أبو سفيان

عبد الرحمن بن عادل عبد العال المشَـد

المدينــة المنـــورة، ٢١ رمضان ١٤٣٩هـ

Almashad20033@gmail.com

## محتويات الكتاب

يشتمل الكتاب على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، تحتها مباحث ومطالب، كالتالي:

- **التمهيد: وفيه**: مفهوم التَّفسير.
- **الفصل الأول: نشأة الكتابة في علم التفسير**، وفيه ستة مباحث:
  - **المبحث الأول**: كتابة التفسير من عصر النبيِّ ﷺ إلى بداية القرن الرابع.
  - **المبحث الثاني**: العلوم التي لها تعلق مباشر بالتفسير.
  - **المبحث الثالث**: الفرق في معلومات التفسير بين السَّلف والمتأخرين.
  - **المبحث الرابع**: أثر العلوم في كتابة التفسير.
  - **المبحث الخامس**: طُرُق تقسيم كتب التفسير.
  - **المبحث السادس**: أساليب كتابة التفسير.
- **الفصل الثاني: تدوين التفسير في القرن الثاني**، وفيه مبحثان:
  - **المبحث الأول: كتب التفسير إلى نهاية القرن الثاني**، وفيه ثمانية مطالب:
    - **المطلب الأول**: (تنوير المقباس) المنسوب لابن عباس رضي الله عنه (ت: ٦٨هـ).
    - **المطلب الثاني**: (جزء فيه تفسير القرآن) ليحيى بن يمان (ت: ١٨٩هـ).
    - **المطلب الثالث**: (تفسير مقاتل بن سليمان) (ت: ١٥٠هـ).
    - **المطلب الرابع**: (تفسير سفيان الثوري) (ت: ١٦١هـ).
    - **المطلب الخامس**: (تفسير القرآن) ليحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠هـ)، ويعقبه مختصراه:
      - **المختصر الأول**: (تفسير كتاب الله العزيز) لهود بن مُحَكِّم الهَوَّاري الإباضي (ت: ٢٨٠هـ).

- **المختصر الثاني**: (تفسير القرآن العزيز) لابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ).

  - **المطلب السادس**: (تفسير ابن مسعود ﷺ)، جمع الدكتور: محمد أحمد عيسوي.
  - **المطلب السابع**: (تفسير عائشة رضي الله عنها)، جمع الدكتور: عبد الله أبو السعود.
  - **المطلب الثامن**: أمور مهمة تتعلق بجمع مرويات السلف.

- المبحث الثاني: **الكتب المشاركة في التفسير إلى نهاية القرن الثاني**، وفيه مطلبان:

  - **المطلب الأول**: (غريب القرآن) المنسوب لزيد بن عليٍّ (ت: ١٢٠هـ).
  - **المطلب الثاني**: (كتب الوجوه والنظائر).

- **الفصل الثالث: تدوين التفسير في القرن الثالث**، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: **كتب التفسير في القرن الثالث**، وفيه مطلبان:

  - **المطلب الأول**: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ).
  - **المطلب الثاني**: تفسير آدم بن أبي إياس (ت: ٢٢١هـ).

- **المبحث الثاني**: **المرويات المجموعة في التفسير لأعلام القرن الثالث**، وفيه مطلب واحد:

  - مرويات الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) في التفسير، جمع الدكتور: حكمت بشير يس.

- **الفصل الرابع: تدوين التفسير في القرن الرابع**، وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: كتب التفسير في القرن الرابع**، وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول:** (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ).
  - **المطلب الثاني:** (تأويلات أهل السنة) للماتريدي (ت: ٣٣٣هـ).
  - **المطلب الثالث:** (بحر العلوم) للسمرقندي (ت: ٣٧٣هـ).
- **المبحث الثاني: كتب السنة التي تضمنت كتاباً في التفسير في القرن الرابع**، وفيه مطلب واحد:
  - السنن الكبرى للإمام النسائي (ت: ٣٠٣هـ) نموذجاً.
- **المبحث الثالث: الكتب المشاركة للتفسير في القرن الرابع**، وفيه خمسة مطالب:-
  - **المطلب الأول:** (معاني القرآن وإعرابه) للزَّجَّاج (ت: ٣١١هـ).
  - **المطلب الثاني:** (أحكام القرآن) للطحاوي (ت: ٣٢١هـ).
  - **المطلب الثالث:** (معاني القرآن) للنحاس (ت: ٣٣٨هـ).
  - **المطلب الرابع:** (ياقوتة الصراط) لغلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ).
  - **المطلب الخامس:** (إعراب القراءات السبع، وعللها) لابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ).

- **الفصل الخامس: تدوين التفسير في القرن الخامس**، وفيه مبحث واحد:
  - **كتب التفسير في القرن الخامس:**

ويشتمل على أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** (الكشف والبيان في تفسير القرآن) للثعلبي (ت: ٤٢٧هـ).
- **المطلب الثاني:** (النكت والعيون) للماوردي (ت: ٤٥٠هـ).
- **المطلب الثالث:** (الوسيط) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

- **المطلب الرابع**: (الوجيز) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

# مقدمة الدورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين؛ سيدنا محمدٍ وعلى آله وصبحه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد؛

فيمكن أن يعنون لهذه الدورة بـ: (مناهج المفسرين)، لكن العنوان المختار أفضل؛ لأن التعريف بالكتاب أَخَفُّ وأقصر من التعريف بالمنهج، وهذا ما سنسلكه في هذه الدورة بمشيئة الله ﷻ، وسيكون حديثنا عن كتب التفسير حديثاً وصفياً يعطي فكرةً عامةً عن الكتب التي سنتناولها، وليس حديثاً تحليلاً؛ لتعلق ذلك بدراسة المناهج.

وقد اخترت أن يكون الحديث عن كتب التفسير مرتبطاً بالقرون؛ فقسمت الكتب–التي سنتناولها –حسب القرون، واعتمدت المطبوع منها، وشيئاً نادراً من المخطوط لأهميته، وسنبتديء بالقرنين؛ الأول والثاني، ثم الثالث، فالرابع، فالخامس، وسنقف عند نهاية القرن السادس –إن يسر الله ﷻ وأعان–.

ولتَصَوُّرِ عملنا في هذه الدورة؛ أضرب مثالاً يقرب ذلك بالقرن الأول والثاني، فسنبدأ الحديث عنهما بسنة (٦٨هـ) حتى سنة (٢٠٠هـ)؛ وذلك لأن هذه السنة توفي فيها حبر القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، المشهود له بحُسْن التأويل، وقد أفادته دعوة النبي ﷺ؛ ولهذا قصدت عنونة كلامي على هذين القرنين بهذه السنة دلالةً على وفاته –وإن كان هناك من سبقه من مفسِّري الصحابة رضي الله عنهم كما سيأتي معنا–.

وسنتناول بعض الكتب في هذين القرنين نحو: تنوير المقباس، وجزء فيه تفسير يحيى بن يمان، وتفسير مقاتل، وتفسير سفيان الثوري، ثم نتطرق في هذا القرن إلى بعض المرويات التي جمعها المعاصرون؛ كمرويات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه، وعائشة رضي الله عنها، وابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وغيرها مما جمعه المعاصرون من تفاسير المسندين وغيرهم ممن يروي عن السلف.

ونذكر بعد ذلك بعض الكتب التي شاركت في علم التفسير، وفي القرن الثالث سيدخل معنا كتب الحديث التي تضمَّنت كتاباً في التفسير، كصحيح البخاري وغيره مما سنشير إليه في موضعه.

وبعد حديثنا عن كل كتاب سنتناول منه نموذجاً نعلِّق عليه بحسب ما أخذنا في وصفه.

*******

# التمهيد

## مفهوم التفسير

تدور مادة (فَسَرَ) في لغة العرب على معنى: البيان والكشف والوضوح، ومما ورد في ذلك: (فَسَرْتُ الذِّراعَ): إذا كشفتُها. و(فسَّرتُ الحديثَ): إذا بيَّنتُه[1].

ويرتبط لفظ التفسير غالباً بتفسير القرآن، فيقال: فسَّر القرآن، وشرح الحديث، وإن كان يجوز أن يقال: فسَّر الحديث، وفسَّر الشعر، إلا أن هذا اللفظ في العلوم الإسلامية صار مرتبطاً بالقرآن، فإذا قيل: علم التفسير؛ انصرف الذهن مباشرة إلى تفسير القرآن.

أما تعريف التفسير في الاصطلاح فله تعريفات كثيرة ذكرها العلماء، ومن أخصرها تعريف الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- (ت: ١٤٢١هـ) في كتابه: (أصول التفسير) فقال: هو (**بيان معاني القرآن الكريم**)[2].

وهناك تعريفات كثيرة لعلم التفسير أدخلت فيه ما ليس منه؛ أشهرها تعريف أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) في كتابه (البحر المحيط)[3]، فقد أدخل فيه تعريفه جملة العلوم الموجودة في كتب التفسير، وليس هذا محل تحريره، فليراجع في محله.

وبما أن التفسير هو: (بيان معاني القرآن الكريم)؛ فما كان فيه بيانٌ فهو تفسير، وما كان خارجاً عن حَدِّ البيان فإنه ليس من التفسير وإن وُجد في كتب التفسير، هذا هو الضابط في ذلك.

فمثلاً قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة:١]، نجد بعض المفسرين كالشوكاني (ت:

---

(١) ينظر: العين للخليل بن أحمد (٢٤٧/٧)، وتهذيب اللغة للازهري (٢٨٢/١٢-٢٨٣)، ومقاييس اللغة لابن فارس (٥٠٤/٤).

(٢) أصول في التفسير ص: ٢٨.

(٣) ٢٦/١.

١٢٥٠هـ) في تفسيره (فتح القدير) قد ذكر القراءتين الواردتين في قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾؛ القراءة الأولى بالإظهار، والثانية بالإدغام -إدغام الدال في السين-(١)، فهذه مسألة قرائية، فهل يحتاج المفسِّر مثل هذه المسألة القرائية في التفسير؟

للجواب على ذلك ننظر: هل معرفة هذه القضية القرائية تؤثر في البيان أم لا تؤثر؟؟

وعند التأمل نجد أن هذه المعلومة لا تؤثر في معنى الآية، فتعد هذه المعلومة إذن من علوم الآية وليست من التفسير.

فلابد أن نميِّز بين العلوم التي تضمَّنتها الآية، وبين بيان معنى الآية، فبيان معنى الآية هو التفسير، وأما العلوم التي تضمَّنتها الآية فقد تكون أكثر من التفسير، وهذا الذي جعل كتب التفسير تتمايز، ذلك لأن علم التفسير محصورٌ، وأما الذي يمايز بين كتب التفسير فعلوم الآية.

ولهذا نجد كتباً في التفسير مختصرةً، ونجد كتباً مطوَّلة، وهذا لا يعني أن الكتب المختصرة قصَّرت في علم التفسير، وإنما الأمر في ذلك راجعٌ إلى التوسع أو عدمه في علوم الآية.

فالنَّحْوي ينحو في كتابه إلى علم النحو، والبلاغي ينحو به إلى علم البلاغة، والفقيه إلى علم الفقه، وهكذا كما سيتبين معنا(٢).

********

---

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وهشام وخلف البزار بإدغام الدال في السين، وقرأ الباقون بالإظهار، وهما قراءتان صحيحتان، ينظر: (التيسير للداني ص: ٤٢، والنشر لابن الجزري ١١٤٨/٤-١١٤٩).

(٢) للتوسع في معرفة مصطلح التفسير وما يدخل فيه وما لا يدخل؛ يراجع: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، ص: ٥٣-٨٨، وأنواع التصنيف المتعلقة بالقرآن الكريم، ص: ٣٣-٤٤، كلاهما للدكتور: مساعد الطيار.

# الفصل الأول

# [[نشأة الكتابة في علم التفسير]]

وفيه ستة مباحث:

- **المبحث الأول**: كتابة التفسير من عصر النبيِّ ﷺ إلى بداية القرن الرابع.
- **المبحث الثاني**: العلوم التي لها تعلق مباشر بالتفسير.
- **المبحث الثالث**: الفَرْق في معلومات التفسير بين السَّلف والمتأخرين.
- **المبحث الرابع**: أثر العلوم في كتابة التفسير.
- **المبحث الخامس**: طُرُق تقسيم كتب التفسير.
- **المبحث السادس**: أساليب كتابة التفسير.

# المبحث الأول

## كتابة التفسير من عصر النبيِّ ﷺ إلى بداية القرن الرابع

نتسائل في البداية: هل كُتب التفسير في عهد النبي ﷺ؟

وللجواب على هذا نقول: إن المطلع على تاريخ تدوين السُنَّة يجد أن هناك صحائف كتبت في عهد النبيِّ ﷺ، ولم تكن هذه الصحائف مستقلة بعلم التفسير، وإنما كان يكتب فيها حديث النبيّ ﷺ، والمتوقع أن يكون قد كتب فيها شيء من التفسير المنقول عن النبي ﷺ مباشرة، وهذا نذكره على سبيل الاحتمال؛ لعدم وجود تفصيل لهذه الصحائف، ولو جمعت هذه الصحائف؛ فقد نجد فيها مرويات عن النبي ﷺ في التفسير، وهذه تعد مرحلةً أوليَّةً لكتابة التفسير.

ومن ألوان الكتابة في التفسير أيضاً: القراءات التي تنسب إلى مصاحف بعض الصحابة ﷺ؛ لأن بعضهم كان له مصحفٌ خاصٌّ، كأُبِيِّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود ﷺ.

ونجد بعض المفسرين كابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) يذكر هذه المصاحف فيقول: "وفي مصحف ابن مسعود كذا، وفي مصحف أبيّ كذا"[(١)].

وبعض ما نسب إلى هذه المصاحف ليس موجوداً في القراءات المتواترة ندنا، كما في قراءة ابن مسعود ﷺ: ((فصيام ثلاثة أيام متتابعات))[(٢)]؛ فهذه قراءةٌ شاذةٌ، ويسمِّيها بعض العلماء: (قراءة تفسيرية)[(٣)]، أي: أنها تفسيرٌ وليست قرآناً.

فكلمة: (متتابعات) تعتبر صورة من صور التفسير؛ لأن أقل ما تحمل عليه أن تكون من

---

(١) من أمثلة ذلك، ينظر: تفسير ابن عطية ١/١٠٤، و٤/٣٧٧، وغير ذلك.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٤ (٧٢٨)، وجامع البيان للطبري ١٠/٥٦٠ (١٢٤٩٩).

(٣) من أوائل من أشاروا إلى هذه التسمية: أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ١/٣٢٥، وممن أطلق عليها هذه التسمية: أبو حيان في البحر المحيط (٥/٣٦٨، و٦/٩٤)، وابن العربي في أحكام القرآن (٤/٣٢٧، و٤/٤٣٦). وينظر: مقال بعنوان: (التنكيت على مراحل التفسير وتدوينه في كتاب التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي)، من كتاب: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٢/١٣٣-١٣٤.

تفسير الصحابي ﷺ، أو خبراً عن النبيّ ﷺ، وأيّاً كانت، فهي صورة من صور كتابة التفسير -وإن كانت هذه القراءات قليلة-.

يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) -عند ذكره لهذه القراءة الشاذة المنسوبة لابن مسعود ﷺ-: (وَهَذِهِ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ كَوْنُهَا قُرْآنًا مُتَوَاتِرًا، فَلَا أَقَلَّ أَنْ يَكُونَ **خَبَرَ وَاحِدٍ**، **أَوْ تَفْسِيرًا مِنَ الصَّحَابِيِّ**، وَهُوَ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ)(١).

فقوله: "**أَوْ تَفْسِيرًا مِنَ الصَّحَابِيِّ**"، يعني: أنها أحد صور كتابة التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

**وهنا نتسائل أيضاً: هل كَتَب أحدُ الصحابة ﷺ بنفسه كتاباً مستقلاً في التفسير؟؟**

أقول: لم أجد ما ينص على ذلك.

وهنا يجب أن ننتبه إلى أن علم التفسير كان علماً قائماً بذاته في عهد الصحابة ﷺ، لأن بعض من كتب في تاريخ التفسير زعم أن علم التفسير لم يكن علماً قائماً بذاته إلا في القرن الثالث على يد الإمام ابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ)(٢)، وهذا زعمٌ خاطئٌ.

بل كان علم التفسير قائماً بذاته منذ عهد الصحابة ﷺ، ولذلك ورد أن بعض الطلاب كان يأتي إلى ابن عباس ﷺ يأخذون عنه التفسير، ثم يأتي بعدهم طلاب يأخذون عنه اللغة، ثم يأتي آخرون يأخذون عنه الشعر، وغير ذلك(٣)، فكانت هذه العلوم مستقلة في عهد الصحابة رضي الله عنهم ومنها علم التفسير.

أما عن كتابة الصحابة ﷺ للتفسير -فكما أسلفت- لم نجد إلى الآن ما ينصُّ على ذلك، إلا ما روى من نسبة كتاب في غريب القرآن لابن عباس ﷺ من طريق عطاء بن أبي

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٧٧/٣.

(٢) ممن ذكروا ذلك فضيلة الشيخ: محمد حسين الذهبي، في كتابه (التفسير والمفسرون) ٣٥/١-٩٨. وينظر: مقال بعنوان (التنكيت على مراحل التفسير وتدوينه في كتاب التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي) للدكتور: مساعد الطيار، في كتابه: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (٢) ١٣٠/٢-١٤٣.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٨١/٢.

رباح، لا يتجاوز عدة ورقات، واختلف في نسبته إلى ابن عباس ﵄؛ فقيل إنه لعطاء[1].

وذكر الثعلبي (ت:٤٢٧هـ) في مقدمة تفسيره أن ابن عباس له كتاب في (وجوه القرآن)، وأسند هذا الكتاب فقال: "أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني -بقراءتي عليه في مجلس واحد-، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالله الحنبلي البغدادي، حدثنا أبو يعلى محمد بن أحمد بن عبد الله بن مروان الأقطع بمَلَطْيَة، حدثنا أبو عبد الرحمن بن حسان الملطي، حدثني أبو صالح إسحاق بن نجيح عن جد السلم بن سامة الجشطيني عن عكرمة عن عبد الله بن عباس"[2]، ثم ذكر كتاب الوجوه بهذا السند.

لكن الملطيين غير مرضيين عند المحدِّثين، كما قال عبد الغنى بن سعيد: "ليس في الملطيين ثقة"[3]، وأجمعوا على أن إسحاق الملطي كان يضع الحديث[4]، فهذه الرواية انفرد بها هذا الرجل عن ابن عباس ﵄، وبالإضافة إلى ضعفه الشديد فلا تقبل هذه الرواية منه، ولا يعتمد عليها فيقال إن لابن عباس ﵄ كتاباً في الوجوه.

---

(١) وهي النسخة المشهورة بـ: (صحيفة علي بن أبي طلحة)، ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص: ٧٥، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٣٧/٤، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر ٢٠٧/١، ومقال بعنوان: (صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس-رضي الله عنهما-) من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٣٠٢/٢-٣١٥.

(٢) الكشف والبيان ٨٣/١.

(٣) ينظر: الأنساب للسمعاني ٤٢٣/١٢، والموضوعات لابن الجوزي ٢٢٥/٢، ولسان الميزان لابن حجر ٤٢٥/٣، وقد ترجم ابن يونس المصري لمِضَر بن محمد، فقال: "مضر بن محمد بن خلف بن الوليد الأسدي يكنى أبا محمد من أهل ملطية كان قد رحل، ثقة" (تاريخ دمشق ٢٨٧/٥٨)، وروى الحاكم عن الدارقطني قال: "مضر بن محمد الأسدي قاضي واسط مقرئ ثقة" (سؤالات الحاكم للدارقطني، ص: ١٥٧)، فهذا مما يُستدرك على الحافظ عبد الغني حين قال: "ليس في الملطيين ثقة".

(٤) ينظر: الكامل لابن عدي ٣٢٩/١، وتهذيب الكمال للمزي ٤٨٤/٢ – ٤٨٥ (٣٨٧)، وتقريب التهذيب لابن حجر ١٠٣/١ (٣٨٨).

ويلاحظ أن بعض المتأخرين أحياناً يكتب تفسيراً وينسبه لابن عباس رضي الله عنه -كما سيأتي معنا في تفسير علي بن أبي طلحة (ت١٤١هـ)-، فنسبته إلى علي بن أبي طلحة إنما هي بالنظر إلى جامِعه، أما إذا نظرنا إلى قائله فتكون نسبته لابن عباس رضي الله عنه[(١)].

**والمقصود أن نقرر أنه:** لم يثبت إلى الآن لأحد الصحابة رضي الله عنهم كتابة في التفسير.

وفي عصر التابعين ظهرت بداية الكتابة للتفسير، فنجد مِن أمثلةِ مَنْ كتب في التفسير من التابعين وأتباعهم[(٢)]:

١- سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ)؛ كتب كتاباً صغيراً في التفسير بطلب من عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦هـ)[(٣)].

٢- مجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ) كتب التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه، وعرضه عليه ثلاث مراتٍ[(٤)]، وأملى مجاهدٌ هذا الكتاب على القاسم بن أبي بزَّة (ت: ١١٥هـ)[(٥)].

٣- الضحاك بن مزاحم (ت: ١٠٥ هـ) كتب كتاباً في التفسير سورةً سورةً[(٦)].

٤- زيد بن أسلم (ت١٣٦: هـ) كتب كتاباً في التفسير[(٧)]، ورواه عنه الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ)، وابنه عبدالرحمن بن زيد (ت: ١٨٢هـ).

٥- الحسن البصري (ت: ١٥٠هـ) أملى التفسير على تلاميذه[(٨)].

---

(١) ينظر: مقال بعنوان: (صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس-رضي الله عنهما-) من كتاب: (مقالات في التفسير وعلوم القرآن) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٢/٣٠٢-٣١٥.

(٢) ينظر أيضاً: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ١٤٣-١٤٨.

(٣) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٣٢/٦، وتهذيب الكمال للمزي ٦٨/٢٠، والأعلام للزركلي ٢٣٥/٤.

(٤) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٧٩/٣، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٢٥/٥٧، ويروى: (ثلاثين عرضة) كما في الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦٦/٥، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢٨٠/٣.

(٥) انظر: المعرفة والتاريخ للفسوي ١٥٤/٢، والثقات لابن حبان ٣٣١/٧.

(٦) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣١٩/٣.

(٧) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٨٢/١٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٦/٥.

(٨) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٣٢٣/١، والفهرست لابن النديم ص: ٥١، وتاريخ =

٦- مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ) كتب كتاباً كبيراً في التفسير، وهو مطبوع.

٧- عبد الملك بن جريج (ت: ١٥٠هـ) وكتابه في ثلاثة أجزاء كبار، وهو من أتباع التابعين[١].

٨- سعيد بن أبي عروبة (ت: ١٥٦هـ) كتب تفسير قتادة[٢]، وكتبه كذلك معمر بن راشد (ت: ١٥٤هـ)[٣].

٩- وكيع بن الجراح (ت: ١٩٧هـ) ألَّف كتاباً في التفسير[٤].

١٠- يحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠هـ) وقد حققت الدكتورة: هند شلبي الجزءَ الموجود منه.

١١- حجاج المصيصي (ت: ٢٠٦هـ) كتب كتاباً في التفسير عن ابن جريج، وهو الكتاب الذي ذكرناه سابقاً لابن جريج، فأحياناً تنسب روايته لحجاج المصيصي، وأحياناً ينسب لابن جريج؛ لأنه الذي كتبه، وهذه من الأمور التي ينتبه إليها عند القراءة في مرويات السلف التفسيرية؛ فأحياناً تنسب هذه المرويات إلى الكاتب، وأحياناً تنسب إلى الراوي، وأحياناً تنسب إلى القائل الأول، والقائل الأول قد يكون من الصحابة، أو التابعين، أو أتباعهم، والكاتب قد يكون من التابعين، أو أتباعهم، وكذلك الراوي قد يكون من التابعين، أو أتباعهم.

١٢- عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ) وكتابه مطبوع.

---

=

التراث العربي لفؤاد سيزكين ١/١٨٧.

(١) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/٢٣٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢٧٣، والضعفاء الصغير للبخاري ص: ٥١، وسؤالات أبي داود للإمام أحمد ص: ٣٣٦، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/٦٥، وتاريخ ابن معين ٤/٣٠٠.

(٣) انظر: المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٨٢٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/٤١٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٧/٩.

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣/٦٧٣، وتهذيب الكمال للمزي ٣٠/٤٣٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٧/٤٢١.

ومن المعتزلة عمرو بن عبيد (ت: ١٤٣هـ) كتب التفسير عن الحسن البصري، وهو متهم في روايته عن الحسن خاصة، فروايته عنه غير مقبولة[1]، وهذه القضية تحتاج إلى تنبه؛ لوجود روايات شاذة مروية عن الحسن، فيحتمل أن تكون هذه الروايات من رواية عمرو بن عبيد، وستأتي الإشارة إلى المقارنة والموازنة بين رواية المكثرين كالحسن البصري وابن عباس ومجاهد.

وبعد جيل أتباع التابعين –أي من القرن الثاني إلى الثالث قبل ظهور الإمام الطبري– اكتفى أعلام السنة برواية ما بلغهم عن التابعين وأتباعهم في التفسير دون أن يكون لأحدهم رأي خاصٌّ فيما يرويه، فلم نجد أحداً منهم اشتهر بالتفسير درايةً، وإن كان قد أُطلق على بعضهم أنه مفسرٌ لكونه كتب كتاباً في التفسير، لكنه في النهاية ناقلٌ فقط، وليس له رأيٌ فيما يرويه.

ومن هؤلاء الأعلام: عبدالله بن الزبير الحميدي (ت: ٢١٩هـ)، وآدم بن أبي إياس (ت: ٢٢٠هـ)، وعبد الغني بن سعيد الثقفي (ت: ٢٢٩هـ)، وعبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه (ت: ٢٨٣هـ)، وعثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٣٩هـ)، وأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، وعبد بن حميد الكِشِّي (ت: ٢٤٩هـ)، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)–صاحب الردود على بشر المريسي–، وأبو سعيد الأشجّ (ت: ٢٥٧هـ)، وابن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، وبقيّ بن مخلد (ت: ٢٧٦هـ)، وإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت: ٢٨٥هـ).

وهؤلا الأعلام لا نجد في كتب التفسير المتأخرة من ينقل عنهم قولاً في التفسير، وإنما

---

(١) "عن حماد بن سلمة قال: كان حميد من أكفهم عنه–يعنى عَمْراً–فقال لى حميد: لا تأخذ عن هذا شيئاً فإنه يكذب على الحسن ... وعن بكر بن حمران قال: كنا عند ابن عون فسأله إنسان عن مسألة فقال: ما أدرى. فقال الرجل: عمرو بن عبيد يقول عن الحسن كذا وكذا، فقال: ما لنا ولعمرو بن عبيد عمرو بن عبيد يكذب على الحسن" (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٤٦/٦)، وقال أحمد: "كان يكذب على الْحسن" (الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٢٢٩/٢)، وينظر: تهذيب الكمال للمزي ١٢٣/٢٢، تهذيب الهذيب لابن حجر ٧٠/٨.

كانوا يروون ما بلغهم من التفسير عن السلف.

وفي هذا الجيل أيضاً -جيل أتباع التابعين- شارك جمع من اللغويين في كتابة التفسير من جهة العربية فقط من خلال كتب (معاني القرآن) و(غريب القرآن)[١]، ومن هؤلاء: الفراء (ت: ٢٠٧هـ)؛ له كتاب (معاني القرآن)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢١٠هـ)؛ له كتاب (مجاز القرآن)، والأخفش (ت: ٢١٥هـ)؛ له كتاب (معاني القرآن)، وهذه الكتب كلها مطبوعة، وستأتي الإشارة إليها -إن شاء الله ﷻ-.

وقد كتب أعلام بعض الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة كُتُباً في التفسير أيضاً؛ فمن المعتزلة مثلاً: عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت: ٢٠١هـ) -وكتابه مطبوع-، وينسب لواصل بن عطاء (ت: ١٣١هـ) كتابٌ في معاني القرآن.

وألَّف من الرافضة: الحسن بن علي بن أبي حمزة البطايني (كان حيّاً قبل: ٢٤٤هـ)[٢]، والحسن بن محبوب السرَّاد (ت: ٢٢٤هـ)[٣].

ومن أحسن كتب التفاسير الصوفية المتقدمة كتاب سهل بن عبد الله التَّسْتُري (ت٢٨٣ هـ) -وهو مطبوع-.

فهذه إشارة إلى كتابة التفسير في عصر التابعين وأتباعهم، ويأتي بعد ذلك العصر الذي بعدهم وهو عصر الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله- ويعتبر هذا الإمام أحد المعاقد التي يُعقَد عليها في التفسير ويؤرَّخ به، وحسب التصنيف الفني يعتبر من القرن الرابع، وإلا فكتابه

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٢٥٥-٢٧٣.

(٢) انظر: لسان الميزان لابن حجر ٢٣٤/٢، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ١٤١/١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٥٣/٣، وقال الحسن بن علي بن فضال -الذي كتب تفسير البطايني كاملاً-: "إني لأستحي من الله أن أروي عن الحسن بن عليّ -يعني: البطايني-" (الفهرست للطوسي ٥٠/١).

(٣) انظر: لسان الميزان لابن حجر ٢٤٨/٢، والفهرست لابن النديم ٢٧٢/١، والفهرست للطوسي ٤٧/١، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ١٤٤/١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢٧٣/٣.

قد كتب قبل القرن الرابع[1].

********

(١) قال الخطيب البغدادي: (حدثني محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري الحافظ، قال: سمعت أبا بكر بن بالويه، يقول: قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق-يعني ابن خزيمة-: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قلت: بلى، كتبت التفسير عنه إملاء. قال: كله؟ قلت: نعم. قال: في أي سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين-أي تسعين ومائتين-، قال: فاستعاره مني أبو بكر فرده بعد سنين، ثم قال: قد نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة) تاريخ بغداد ٥٤٨/٢، وينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩٦/٥٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤.

## المبحث الثاني: العلوم التي لها تعلق مباشر بالتفسير

إن العلوم التي تطرَّق إليها المفسرون في كتبهم كثيرة جداً، والذي يهمنا هنا: ما كان له أثرٌ في علم التفسير، فبعض المفسرين مثلاً يورد في تفسيره قضايا تتعلق بالنجوم والأنواء وغيرها كالإمام الرازي[١] –رحمه الله–، فلن نقصد هنا هذا النوع من العلم، وإنما نقصد ما كان في حقيقته جزءاً من علم التفسير.

**ومن هذه العلوم التي لها تعلق بالتفسير:**

١- **الوجوه والنظائر:** وقد تميز جيل أتباع التابعين بالكتابة في هذا العلم، وممن كتب فيه: مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وهارون الأعور (ت: ١٧٠هـ)، والحسين بن واقد (ت: ١٥٧هـ)[٢]، ويحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ)، وكتبهم كلها مطبوعة إلا كتاب الحسين بن واقد.

٢- **الناسخ والمنسوخ:** وممن كتب فيه: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) –وكتابه مطبوع–، وعبدالملك بن حبيب الأندلسي المالكي (ت: ٢٣٨هـ)[٣].

٣- **أسباب النزول:** ويقال إن أول من كتب فيه هو علي بن المديني (ت: ٢٣٤هـ)[٤].

٤- **معاني القرآن وغريبه:** وسبق أن ذكرت جمعاً من اللغويين ممن كتبوا في هذين العلمين، وممن كتب أيضاً في غريب القرآن: ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)[٥]، وأبو

---

(١) ينظر أمثلة لذلك: مفاتيح الغيب للرازي ٢/٣٨٢، و٢٢/١٤١.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/١٦٣، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ١/١٦٣.

(٣) انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/١٢٨، وطبقات المفسرين للداودي ١/٣٥٦، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ١/٣٣٢.

(٤) ذكر عبد الحكيم أنيس في تحقيقه للعجاب في بيان الأسباب أنه اطلع على مخطوط لميمون بن مهران (ت: ١١٧هـ) عنوانه (تفصيل لأسباب النزول)، وبذلك فيكون ابن مهران أول من ألف وليس ابن المديني.

(٥) لمزيد من الاستفادة؛ انظر: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٣٦٣-٣٧٦.

عبيدة (ت: ٢٠٩هـ) في كتابه (مجاز القرآن) فإنه يعتبر أيضاً من كتب غريب القرآن، وهو ألصق بغريب القرآن من المعاني[١].

وشارك بعض المعتزلة في الكتابة في العلوم المرتبطة بالتفسير مثل: بشر بن المعتمر المعتزلي (ت: ٢٢٠هـ)؛ له كتاب (متشابه القرآن)[٢] ولاشك أن فيه تأويلات اعتزالية.

هذه بعض العلوم التي كُتب فيها ولها ارتباط بعلم التفسير، ولم نذكر كتب الأعاريب وفضائل القرآن وغيرها؛ لعدم وجود أثرٍ مباشرٍ لهما في التفسير -كما حرَّرنا سابقاً-.

*******

(١) لمزيد من الاستفادة؛ انظر: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٣٣٥-٣٦٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠٣/١٠، وهدية العارفين للبغدادي ١٣٢/١، ومعجم المؤلفين لعادل نويهض ١١٧/١.

## المبحث الثالث: الفرق في معلومات التفسير بين السلف والمتأخرين[1]

حرَّرْنا مفهوم التفسير -فيما سبق-، وذكرنا أن التفسير هو: (بيان معاني القرآن)؛ فما الذي زاده المتأخرون في التفسير؟

لمعرفة هذا؛ ينبغي أن ننظر أولاً إلى ما تطرَّق إليه السلف في كتبهم حتى يتبين لنا ما زاده المتأخرون، وعند النظر في تفاسير السلف نجد أنهم يذكرون ما يلي:-

١- **معاني الألفاظ:** فمثلاً قوله ﷻ: ﴿بَاسِقَاتٍ ﴿١٠﴾﴾ [ق:١٠] قال قتادة: (بُسُوقُهَا: طُولُهَا)[2].

٢- **بيان المعنى العام للجملة أو الآية المفسَّرة:** وهو ما نسميه بـ: (التفسير الجُملي).

٣-**أسباب النزول:** كقولهم: (كان كذا، فأنزل الله كذا الخ)، ويدخل فيها من نزل بشأنه الخطاب، كقول أحدهم: ((نزل قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾ [العلق:٩-١٠] في أبي جهل))[3]، وقول أحدهم: ((نزل قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل:١٧]: في أبي بكر الصديق رضي الله عنه))[4].

٤- **مكان النزول:** فيقولون: نزلت هذه الآية بمكة، أو بالمدينة، أو بحجة الوداع ... الخ[5]، وهو ما عرف بعد ذلك بعلم (المكي والمدني).

٥- **ما يتعلق بالآية من قصص:** سواء كانت قصص السابقين[6]، أو قصص من نزل

---

(١) المراد بالمتأخرين هنا: العلماء الذين كتبوا في التفسير بعد القرن الثالث تقريباً.

(٢) جامع البيان للطبري ٣٣٥/٢٢.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٥٢٣/٢٤.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري ٤٧٩/٢٤.

(٥) انظر أمثلة لذلك في: جامع البيان للطبري ٤٥٧/١٦ (٢٠٤٢١)، و٥٣١/٩ (١١١١٢).

(٦) وذلك مثل ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر:١٦] عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (إن راهباً تعبد ستين سنة، وأن الشيطان أراده فأعياه، فعمد إلى امرأة فَأَجَنَّهَا، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم =

بشأنهم الخطاب.

٦- **معنى القراءة التي يقرأ بها المفسِّر**: وهذه ملاحظة دقيقة؛ لأن القراءات -كما هو معلوم- توزعت في الأمصار، وقراءة أهل مكة ليست كقراءة أهل العراق أو المدينة وهكذا، فقد يفسِّر المفسِّر من أهل مكة لفظة معينة على قراءته؛ كما فسَّر مجاهد قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ [الكهف:٣٤] بأن الثُّمُرَ هو: المال، وبعضهم يقول: هو ما يثمَّر من الذهب والفضة[(١)]، فهذا التفسير من مجاهد على قراءة أهل مكة؛ لأنهم يقرأونها بضم الثاء والميم، أما على قراءة غيرهم فيختلف تفسير هذه اللفظة.

٧- **الحكم التشريعي المنصوص عليه في الآية**: وذلك دون الاستطراد في المسائل الفقهية التي يذكرها المتأخرون كالقرطبي (ت: ٦٧١هـ) مثلاً، فلو جمعنا مرويات الأحكام عند عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٥هـ) -وكان مشتهراً بأحكام الحج[(٢)]- فسنجدها قليلة جداً لأنه يذكر الأحكام التي نصَّت عليها الآية بغير استطراد.

٨- **تنزيل الآية على بعض الأحداث الواقعة في عهدهم واستنباط المسائل منها:** كما روي عن أبي أمامة ﷺ في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]

=

بهذا القِسِّ فيداويها، فجاءوا بها، قال: فداواها، وكانت عنده؛ فبينما هو يوماً عندها إذا أعجبته، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، إن أعييتني، أنا صنعت بك هذا فأطعني؛ أنجك مما صنعت بك، اسجد لي سجدة، فسجد له، فلما سجد له؛ قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين. فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الحشر:١٦] جامع البيان للطبري ٢٩٥/٢٣. قال ابن كثير: "وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبض عباد بني إسرائيل؛ هي كالمثال لهذا المثل، لا أنها المرادة وحدها بالمثال، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها" تفسير القرآن العظيم ٧٥/٨.

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٢٠/١٨.

(٢) عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين قال: "ما بقي أحدٌ أعلم بمناسك الحج من عطاء بن أبي رباح"، وقال قتادة: "أعلم الناس بالمناسك عطاء" (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٩٤/٢، والتاريخ الكبير للبخاري ٤٦٤/٦)

أنه قال: (هم الخوارج)[1]، وعندما ننظر إلى الآية نجدها في سياق الحديث عن اليهود مع نبيهم موسى عليه السلام، وأن الخوارج لم يكونوا قد ظهروا وقت نزول هذه الآية، لكن يدخل فيها كل من كان مثل بني إسرائيل في هذه الصفة، وعلى هذا جاء تفسير أبي أمامة رضي الله عنه من باب القياس.

هذا ما تم حصره من المعلومات الواردة في تفسير السلف، وقد يوجد غير هذه المعلومات عندهم فيضاف إليها.

وإذا نظرنا إلى المعلومات التي زادها المتأخرون[2] في كتبهم على تفسير السلف نجدها كما يلي:-

١- **تقوية ما ورد عن السلف من اختيارات تفسيرية وزيادة احتجاج لها:** فقد يرد عن السلف خلافٌ في لفظة من الألفاظ، كالخلاف في المراد بـ: (القرء) من قوله عز وجل: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة:٢٢٨]؛ فخلاف السلف في هذه اللفظة منحصرٌ في قولين لا ثالث لهما، وهما: (الطهر، والحيض)[3]، لكن إذا نظرت إلى كلام المتأخرين في هذه الآية تجدهم قد زادوا على هذا قضية الاحتجاج.

وعلى سبيل المثال انظر ما كتبه الشنقيطي في قضية الاحتجاج لهذه الأقوال في الآية في كتابه (أضواء البيان)[4]، وأحياناً يرجح المتأخر أحد الأقوال ويقويه، وأحياناً يذكر شواهد كل قولٍ ولا يرجح.

٢- **ذِكْر معلومات قرآنية لا علاقة لها بتفسير الآية مباشرة:** وهذه المعلومات تعد من علوم الآية وليست من علوم التفسير، وأحياناً تكون من علوم القرآن عموماً، ومن ذلك مثلاً ما ذكر ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) في بداية تفسيره لسورة البقرة جملة من الفوائد ليس لها علاقة بالتفسير كفضل السورة وعدد آياتها وأن ابن عمر حفظها في

---

(١) جامع البيان للطبري ٣٥٨/٢٣.

(٢) المقصود بالمتأخرين: ما بعد القرن الثالث مع بداية تشكُّل العلوم.

(٣) انظر: جامع البيان ٥٠٠/٤-٥١١.

(٤) ٩٦/١-١٠٢.

ثمان سنوات ... الخ[١]؛ فكل هذه المعلومات من علوم السورة وليست من علوم التفسير.

٣- **التوسع في العلم الذي برز فيه المؤلف والاستطراد في ذكر تفاصيله ومسائله:** وهذا التوسع أحياناً يشعرك بأن هذا الكتاب من كتب هذا الفن وليس من كتب التفسير؛ فمن الكتب التي اعتنت بالإعراب: (البحر المحيط) لأبي حيان لأندلسي (ت٦٤٥هـ)، وقد صار علم الإعراب صبغة بارزة فيه أكثر من علم التفسير، مع أن مؤلفه كتبه وهو يريده كتاب تفسير وليس كتاب إعراب.

ومن الكتب التي اعتنت بالأحكام الفقهية: (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي (ت: ٦٧١هـ).

٤- **ذِكْر أوجه تفسيرية جديدة عمّا ورد عن السلف:** ومثال ذلك عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد:٦]، نجد الإمام الطبري يذكر أن المراد بالتعريف هنا: معرفة أهل الجنة مساكنهم واتجاههم إليها كما يتجهون بعد صلاة الجمعة إلى بيوتهم[٢]، لكن بعض اللغويين ذكر قولاً آخر، وهو أن المراد بالتعريف هنا: التَّطْييب[٣]، كما ورد في الحديث: ((وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا))[٤]، ومنه قولهم: طعامٌ مُعَرَّف أي: مطيَّب؛ فهذا المعنى الثاني يعتبر من الزيادات على تفسير السلف.

---

(١) ٨١/١.

(٢) جامع البيان للطبري ١٦٠/٢٢.

(٣) قال ابن عطية: "وقال مُؤَرِّجٌ وغيره: معناه؛ طيبها، مأخوذ من العَرْف، ومنه طعام مُعَرَّف، أي مُطيَّب. وعَرَّفْت القِدْر: طيَّبتها بالملح والتابل" المحرر الوجيز ١١٢/٥.

(٤) جزءٌ من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ١٦٨/٦(٥٧٠٤).

ومن هذه الزيادات في عصرنا: **ما يرتبط بالتفسير العلمي**[1] -وليس هذا مقام التفصيل في هذا النوع، لكن المقصود أننا حتى الآن نجد زيادات واضحة على تفسير السلف-.

**٥-ذِكْر جملة من الاستنباطات الفقهية والأدبية والاستدلالات للمسائل العقدية:**

وهذه الاستنباطات ليس لها حَدٌّ، فقد تكون استنباطات علمية، أو استنباطات مرتبطة بعلم النفس أو علم الاقتصاد ...الخ[2].

وهذا من باب الحصر التقريبي، فقد يظهر أكثر مما ذكرناه.

*******

(١) يعرِّفه بعض المعاصرين بأنه: "تفسير الآيات تفسيرًا علميًّا وفق قواعد العلم الحديث، وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث" (تعريف الدارسين بمناهج المفسرين للدكتور: صلاح الخالدي، ص: ٥٦٦)، وينظر: (الإعجاز العلمي إلى أين ؟!) للدكتور: مساعد الطيار.

(٢) لمزيد من الاستفادة؛ ينظر: تطبيق لزيادات المتأخرين عن السلف من خلال سورة الكوثر، في كتاب: (مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر)، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٧٣-٨٥.

## المبحث الرابع: أثر العلوم في كتابة التفسير[1]

إن هذه القضية من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى تجلية، ويتضح مما ذكرناه سابقاً من المعلومات المذكورة في تفسير السلف والمعلومات التي زادها المتأخرون أن ثمَّة أشياء قد استحدثت؛ فنحتاج إلى دراسة هذه العلوم التي استحدثت وجدَّت في كتب التفسير، وصارت هذه المعلومات سمةً بارزةً في كتب المتأخرين، وهي ما يطلق عليها في عصرنا الحاضر بـ (الاتجاهات)؛ فهناك الاتجاه الفقهي، والعقدي، والبلاغي، واللغوي، وغير ذلك[2].

وإذا نظرنا إلى أصل العلوم الإسلامية فإننا نجدها على نوعين:

**الأول**: علوم تشكَّلت مسائلها متأخراً -وإن كانت تطبيقاتها موجودة عند السلف- كعلم أصول الفقه، فقد استحدث بعد جيل الصحابة والتابعين، وأول من كتب فيه هو الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) في كتابه (الرسالة)[3]، وأما قبل الإمام الشافعي فتوجد تطبيقات لهذا العلم فقط، وليس هناك كتابة تنظيرية فيه[4]، وهنا ننتبه إلى أن تأخر الكتابة لعلمٍ معينٍ عن عصر الصحابة والتابعين لا يعني أنه لم يكن موجوداً عندهم.

**الثاني**: علوم مستقلة ولها مسمَّىً عند السلف؛ كعلم القراءة، والسيرة، والتفسير، فقد قال النبي ﷺ: ((خذوا القرآن من أربعة؛ من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب))[5]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مقدمته: (فإن أعلم الناس

---

(١) لمزيد من الاستفادة؛ ينظر: مقال بعنوان: (أثر العلوم على المصنفين في علوم القرآن)، من كتاب (مقالات في علوم القرآ وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٢/٢٠٨-٢١٣.

(٢) للدكتور: مساعد الطيار، دورة بعوان: (مناهج واتجاهات المفسرين)، لعلها تخرج قريباً مطبوعة -بمشيئة الله-.

(٣) قال ابن خَلِّكان: "والشافعي أول من تكلَّم في أصول الفقه، وهو الذي استنبطه" (وفيات الأعيان ٤/١٦٥)، وانظر: مناقب الشافعي للرازي ص: ٥٧، والتمهيد للإسنوي ص: ٤٥، وتاريخ ابن خلدون ١/٣٨٩.

(٤) انظر: أصول الفقه قبل عصر التدوين، للدكتور: صفوان الدَّاوديّ، ص: ٤٥-٥١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب القُرَّاء من أصحاب النبي ﷺ ٦/٢٢٩ (٤٩٩٩).

بالمغازي أهل المدينة)، ثم قال: (وأما التفسير فإن أعلم الناس به أهل مكة)[1]، فواضح أن هذه علوم كانت مستقلة عندهم يتلقونها.

********

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٣٤٧.

## المبحث الخامس: طُرُق تقسيم كتب التفسير

هذه القضية في الأصل قضيةٌ فنيَّةٌ، تختلف من شخص لآخر، لكن بعض هذه التقسيمات لها أثرٌ علميٌّ؛ كالتقسيم حسب الاتجاهات العلمية، وسنذكر هنا بعض الاعتبارات الفنيَّة التي تقسم بحسبها كتب التفسير:-

١- **النظر إلى التاريخ**: ويكون التقسيم بهذا الاعتبار حسب وفيات المؤلفين، وعبر القرون.

٢- **النظر إلى البلد**: فتذكر تفاسير أهل مكة، وتفاسير أهل دمشق، وتفاسير أهل أصفهان... الخ.

٣- **النظر إلى الإقليم**: فيذكر مفسروا الحجاز، ومفسروا الشام... الخ، ويمكن دمج القرن بالإقليم فنقول: مفسروا الأندلس في القران الرابع، ومفسروا خراسان في القرن الخامس، وهكذا.

ويمكن دمج القرن بالإقليم، فيقال مثلاً: مفسروا خراسان في القرن الرابع، وهكذا.

٤- **النظر إلى المذهب الفقهي**: فنقول مثلاً: مفسروا الحنفية، مفسروا الشافعية ... الخ، ويلاحظ أن بعض المفسرين لا يمكن إدخال كتابه في هذا الاعتبار؛ إما لمخالفته، أو لعدم تمذهبه، خاصةً إن كان من المتقدمين قبل ظهور المذاهب الفقهية كالصحابة والتابعين.

٥- **النظر إلى المذهب العقدي**: فنقول مثلاً: مفسروا الأشاعرة، مفسروا المعتزلة، مفسروا أهل السنة ... الخ.

٦- **النظر إلى الاتجاه العلمي**: فنقول مثلاً: الاتجاه الفقهي في التفسير، الاتجاه اللغوي في التفسير، الاتجاه البلاغي في التفسير ... الخ.

٧- **النظر إلى التوسع والاختصار**: فنقسمها إلى:

أ- **تفاسير مختصرة**؛ مثل: تفسير (الوجيز) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، و(مدارك التنزيل) للنسفي (ت: ٧١٠هـ)، وتفسير الجلالين، وتفسير البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) -وإن كان الأخير مادته دسمة لكن المقصود النظر إلى الحجم-.

ب- **تفاسير متوسطة**؛ مثل: مختصر تفسير يحيى بن سلام لابن أبي زمنين (ت: ٢٠٠هـ)، وتفسير أبي المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، و(معالم التنزيل) للبغوي (ت: ٥١٠هـ)، و(التسهيل لعلوم التنزيل) لابن جزي (ت: ٧٤١هـ).

ت- **تفاسير متوسعة**؛ مثل: تفسير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) والثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، وابن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، والرازي (ت: ٦٠٦هـ)، وأبي حيان (ت: ٧٤٥هـ)، والواحدي (ت: ٤٦٨هـ) في (البسيط)، و(روح المعاني) للألوسي (ت: ١٢٧٠هـ).

٨-**النظر إلى مقام دارس التفسير**: ويمكن تقسيم كتب التفسير إلى ثلاثة مراحل بهذا الاعتبار:

أ- **مرحلة المبتدئين**: ومن الكتب المناسبة لهذه المرحلة: (الوجيز) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، ومختصر تفسير يحيى بن سلام لابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ)، وتفسير أبي المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، و(جامع البيان) للصفوي (ت: ٩٠٥هـ)، وتفسير السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)؛ فهذه الكتب تناسب المبتدئين لسهولة عبارتها، ونحن في هذا التقسيم لا ننظر إلى حجم الكتاب، وإنما ننظر إلى سهولة عبارته.

ب- **مرحلة السالكين**: وهذه المرحلة يناسبها كتب التفسير التي تعرض لذكر الأقوال مثل: (بحر العلوم) للسمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، و(البسيط) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، و(معالم التنزيل) للبغوي (ت: ٥١٠هـ)، و(زاد المسير) لابن الجوزي (ت: ٥٧٩هـ)، و(التسهيل) لابن جزي (ت: ٧٤١هـ)، و(فتح البيان) لمحمد صديق خان (ت: ١٣٠٧هـ).

مرحلة المتخصصين: **ويغلب على هذه المرحلة البحث في جميع كتب هذا الفن.**

وهنا سؤال يطرح كثيراً، ألا وهو: **ما المنهجية الصحيحة في تعلم التفسير؟**

وللجواب على هذا نقول: إن هذه المسألة اجتهادية، سواء في التقسيم إلى المراحل التي ذكرتها سابقاً[1] أو في طرح الكتب، وعلى كلٍّ؛ فإن طالب علم التفسير يفتقر إلى المتون المختصرة اللازمة للتدرج في هذا العلم، وعليه فإنه يمكننا أن نقسم المراحل التي يمر بها طالب علم التفسير إلى ثلاثة مراحل:

الأولى: مرحلة المبتدئين.

الثانية: مرحلة السالكين.

الثالث: مرحلة التوسع.

وقبل أن نتكلم عن هذه التقسيمات ننبه على قضية مهمة تشمل المراحل الثلاثة، ألا وهي أنه يتحتَّم على طالب علم التفسير في كل مرحلة من هذه المراحل أن يجعل لنفسه أصلاً معتمداً من كتب التفسير يكون بين يديه دائماً يقرأ فيه، وهذا الأصل إن لم يستطع حفظه؛ فليستظهره.

وقد كان المتقدمون يكتبون كتباً مختصرة؛ لأجل أن يحفظ الكتاب، فمن لم يستطع أن يحفظ؛ فليستظهر، بمعنى أنه إذا سُئل عن آية؛ عرف تسيرها وما قيل فيها، وليس بالضرورة أن يعرف جميع الأقوال.

والمقصود: **التنبيه على أهمية تمسك الطالب بكتاب يكون له أصلاً.**

## المرحلة الأولى: مرحلة المبتدئين:

تعدّ هذه المرحلة من أهم المراحل لطالب علم التفسير؛ إذ تكمن أهميتها في كونها اللبنة الأولى لطالب هذا العلم، فينبغي على الطالب في هذه المرحلة أن يهتم باستظهار المعنى العام للآيات، وتقييد الفوائد على المتن المختار للتفسير، مع عدم الانشغال بالإشكالات الواردة في بعض الآيات، وتكون البداية بكتاب مختصر.

---

(١) في مبحث: طرق تقسيم كتب التفسير، ص: ٣٠.

ومن الكتب المناسبة لمرحلة المبتدئين:

١-(الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، وهو كتاب مختصر، وسهل العبارة.

٢-مختصر تفسير يحي بن سلام لابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ).

٣-تفسير أبي المظفر السمعاني (ت: ٤٨٩هـ).

٤-جامع البيان للصفوي (ت: ٩٠٥هـ).

٥-(تيسير الكريم الرحمن) للسعدي (ت: ١٣٧٦هـ).

٦-(التفسير الميسر) -المطبوع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- وهو كتاب يهتم بالمعنى الإجمالي للآيات، إلا أنه يفتقر إلى الإشارة إلى المعنى اللغوي للفظ القرآني، فيضيف الطالب لهذا الكتاب كتاباً مختصراً في غريب القرآن، مثل: (تحفة الأريب) لأبي حيان (ت: ٧٤٥هـ)، أو (تفسير غريب القرآن) لمكي القيسي (ت: ٤٣٧هـ).

وهذه الكتب سهلة في العبارة -وإن كان في بعضها طول-، يمكن للطالب أن يعتمد أحدها كأصلٍ يرجع إليه دائماً، فيضبط التفسير من هذا الكتاب فقط، ولا يلزمه في هذه المرحلة معرفة القول الصحيح من الضعيف لأنه في مرحلة التعلم وضبط معنىً واحدٍ من الكتاب.

وليس لهذه المرحلة زمن معين؛ لأنها مرتبطة بفهم الطالب وقدرته، فمن وطَّن نفسه على التخطيط والترتيب؛ فإنه يصل أسرع من غيره، فعلى الطالب أن يجعل له جزءاً أو نصف جزء أسبوعيًا، ويستمر ويواظب على هذه القراءة دون انقطاع، فقليلٌ مستمرٌّ = خيرٌ من كثيرٍ منقطع.

## المرحلة الثانية: مرحلة السالكين:

هذه المرحلة هي مرحلة الدخول في التخصص في علم التفسير، فالطالب في هذه المرحلة قد انتهى من استظهار ومعرفة المعنى الإجمالي للآيات، والدلالات اللغوية للألفاظ القرآنية -كما ذكرت سابقًا-.

وينبغي في هذه المرحلة معرفة:

١- معرفة الأقوال في التفسير.

٢- معرفة القول الراجح.

٣- معرفة أصول التفسير.

فالمرحلة الأولى للطالب كانت دراسة التفسير على معنىً واحدٍ، ولكنه في هذه المرحلة سينتقل إلى معرفة الأقوال الأخرى في التفسير.

ويمكن للطالب في هذه المرحلة أن يقرأ في كتب معاني القرآن، وتوجيه القراءات، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وكذلك كتب التفسير الموسعة؛ مثل: (زاد المسير) لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، و(النكت والعيون) للماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، و(الدر المنثور) للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، وتفسير ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، و(المحرر الوجيز) لابن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، و(التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ).

وذلك لتكون المحصلة النهائية لهذه المرحلة هي:

١-استظهار أقوال السلف في الآية، فإن كان في الآية قولان أو ثلاثة؛ استظهرهم، أما إن زادت هذه الأقوال؛ فيكتفي بحفظ بعضها مع معرفته بأن في الآية أقوال أخرى لم يحفظها.

٢-معرفة أقوال السلف خاصة، أي: الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

٣-معرفة الأقوال الصحيحة المحتملة في الآية التي جاءت بعد السلف.

٤-التعرف على مناهج المفسرين المختلفة.

### المرحلة الثالثة: مرحلة التوسع:

وتسمى هذه المرحلة بالمرحلة البحثية؛ فلابد للطالب في هذه المرحلة أن يقرأ ويستفيد من الكتب القريبة من التخصص، أو حتى البعيدة عنه؛ فيمارس بحثه وإضافاته التي يوظفها في تفسير القرآن.

ويمكن إضافة ما يلي:

١-العناية بالتعرف على منهج السلف، ومن سار على نهجهم من خلال التطبيقات العملية.

٢-العناية بتطبيق ما تعلمه من أصول التفسير على ما يقرأ من التفسير.

٣-الرجوع إلى الموارد التي أخذ منها المفسر.

٤-التركيز على كلام المفسر في تفسيره للآيات المتصلة بالفن الذي يتميز به المفسر كأن يكون المفسر لغويًا، أو فقيهًا، أو عالماً بالقراءات.

٦-الحرص على تقييد الفوائد التي يستفيدها طالب علم التفسير خلال رحلته في طلب العلم وقراءاته للكتب.

ثم ينتقل الطالب إلى مرحلة أخرى، وهي معرفة باتجاهات التفسير العامة، كالاتجاه الفقهي، والاتجاه النحوي، والاتجاه اللغوي، وغير ذلك.

فهذه صورة من صور التدرج في علم التفسير.

- **تنبيه مهم**[(١)]:

**- من الأمور التي يجب أن يركّز عليها طالب علم التَّفسير ما يلي:**

١-معرفة الماهيَّات والمصطلحات.

٢-معرفة تاريخ العلم.

٣-معرفة المؤثرات في هذا العلم والعلوم التي دخلت عليه.

٤-معرفة ما تضمَّنته كتب التفسير.

٥-معرفة مصادر المؤلِّف وأثرها في تفسيره.

٦-اعتماد كتاب في التفسير يجعله أصلاً له يعلِّق عليه الفوائد.

*******

---

(١) هذا التنبيه خُلاصة أفكار محاضرة بعنوان: (المنهجية العلمية لدراسة علم التفسير)، ألقاها الدكتور: مساعد -عبر شبكة الإنترنت- لطالبات معهد (ابن كثير لإعداد معلمات القرآن الكريم) بالدمام، يوم السبت، الموافق ١٤٣٨/٤/٣٠هـ، وهي محاضرة غير مسجلة ولا متاحة على شبكة الإنترنت.

## المبحث السادس: أساليب كتابة التفسير

ذكر بعض المعاصرين أن التفسير كُتِبَ على أربعة أساليب[1]:

١- الأسلوب التحليلي.

٢- الأسلوب المقارن.

٣- الأسلوب الإجمالي.

٤- الأسلوب الموضوعي، ويسمى بـ: (التفسير الموضوعي).

ومعرفة هذه الأساليب كما يلي:

**الأسلوب التحليلي:** هو أن يأخذ المفسر آية ويناقش ما فيها من إعراب، وقراءات، وأقاويل ... الخ.

**الأسلوب المقارن:** هو موازنة المفسر بين أقوال المفسرين، ومعرفة الراجح من المرجوح.

**الأسلوب الإجمالي:** هو أن يذكر المفسر المعنى الإجمالي للآية دون النظر إلى أقوال أو غير ذلك.

وهذه الأساليب الثلاثة نجدها في تفسير ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، فأحياناً نجده يذكر الآية، ثم يذكر المعنى الجملي لها، ثم يذكر أقوال السلف، ثم يرجح، ففيه تحليل، وفيه معنى إجمالي، وفيه أيضاً مقارنة وموازنة.

وتفسير السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) يعد من التفسير الإجمالي.

وتفسير أبي حيان (ت: ٧٤٥هـ) يعد من التفسير التحليلي، ومن التفسير المقارن أيضاً؛

---

(١) ينظر: المقالات التالية من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار:

١- (سؤال عن التفسير التحليلي)، ٢/١٣٠-١٤٣.

٢- (مشكلة المصطلحات في الدراسات القرآنية .. التفسير الموضوعه وإخوانه نموذجاً)، ٢/ ٢٤٠-٢٥٥.

لأنه يعرض الأقوال -أحياناً- ويرجح بينها.

فأي مفسر يعرض الأقوال ويرجح بينها نعتبر تفسيره من التفسير المقارن، وأما التفسير الذي يذكر فيه معنى الآية فقط دون التعرض إلى الأقوال فنعتبره من التفسير الإجمالي، والتفسير الذي يستوعب ما قيل في الآية نعتبره من التفسير التحليلي.

وكل هذه التقسيمات تقسيمات فنيَّةٌ ليس لها أي أثرٌ علميٌّ.

## أما الأسلوب الموضوعي[1]:

فهو نوع حادثٌ ومعاصر، وقد ذكر من كتب فيه أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام[2]:-

١- دراسة موضوع من خلال القرآن، كأن يدرس (الجهاد في القرآن) مثلاً.

٢- دراسة لفظة أو مصطلح من خلال القرآن، كدراسة مصطلح (الذين في قلوبهم مرض في القرآن)[3].

٣- دراسة موضوع من خلال سورة، كدراسة (غزوة بدر من خلال سورة الأنفال)، أو (غزوة تبوك من خلال سورة التوبة)، وهكذا.

*******

(١) انظر: مقال (التفسير الموضوعي .. وجهة نظر أخرى)، من كتاب مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للدكتور: مساعد الطيار، (٢) ١/٣٢٦-٣٣٩.

(٢) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لكلٍ من الدكتور: أحمد السيد الكومي، والدكتور: محمد أحمد القاسم ٢٢-٢٤، وهما من أوائل من ألَّفوا في هذا النوع.

(٣) وهو بحث مطبوع للدكتور: أحمد حسن فرحات.

# الفصل الثاني

# [[تدوين التفسير في القرن الثاني]]

وفيه مبحثان:-

- **المبحث الأول**: كتب التفسير إلى نهاية القرن الثاني.
- **المبحث الثاني**: الكتب المشاركة في التفسير إلى نهاية القرن الثاني.

## المبحث الأول

## كتب التفسير إلى نهاية القرن الثاني

وفيه ثمانية مطالب:

- **المطلب الأول**: (تنوير المقباس) المنسوب لابن عباس ﷺ (ت: ٦٨هـ).
- **المطلب الثاني**: (جزء فيه تفسير القرآن) ليحيى بن يمان (ت: ١٨٩هـ).
- **المطلب الثالث**: (تفسير مقاتل بن سليمان) (ت: ١٥٠هـ).
- **المطلب الرابع**: (تفسير سفيان الثوري) (ت: ١٦١هـ).
- **المطلب الخامس**: (تفسير القرآن) ليحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠هـ)، ويعقبه مختصراه:
  - **المختصر الأول**: (تفسير كتاب الله العزيز) لهود بن مُحَكِّم الهَوَّاري الإباضي (ت: ٢٨٠هـ).
  - **المختصر الثاني**: (تفسير القرآن العزيز) لابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ).
- **المطلب السادس**: (تفسير ابن مسعود ﷺ)، جمع الدكتور: محمد أحمد عيسوي.
- **المطلب السابع**: (تفسير عائشة رضي الله عنها)، جمع الدكتور: عبد الله أبو السعود.
- **المطلب الثامن**: أمور مهمة تتعلق بجمع مرويات السلف.

ذكرت سابقاً أننا سنتناول كتب التفسير باعتبار التاريخ، وسنشير أحياناً إلى النظر التأثيري -أحياناً-؛ لأن بعض كتب التفسير لها أثرٌ فيما جاء بعدها، فسنذكر هذا التأثير، ومن نقل منها من المفسرين، ويمكن أن نضيف أيضاً الاتجاهات العلمية لهذه الكتب.

وكتب التفسير التي سنتحدث عنها إلى نهاية القرن الثاني هي: (تنوير المقباس المنسوب لابن عباس ﵁ - جزء فيه تفسير يحيى بن يمان - تفسير مقاتل بن سليمان - تفسير سفيان الثوري - تفسير يحيى بن سلام البصري، ومختصراه- تفسير عبد الرزاق الصنعاني).

********

## المطلب الأول: (تنوير المقباس) المنسوب لابن عباس ﷺ (ت: ٦٨هـ)

### التعريف بمن نسب إليه هذا التفسير:

هو: الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، حبر الأمة، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ فترةً وروى عنه، ودعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل))[(١)]، وقال عنه ابن مسعود رضي الله عنه: ((نِعْمَ ترجمان القرآن عباس))[(٢)]، وكانت وفاته بالطائف سنة (٦٨هـ)[(٣)].

### التعريف بهذا التفسير:

هذا الكتاب مطبوع ومنتشر، فلذلك ذكرته للتنبيه على بعض القضايا التي فيه، وذلك أنه يرويه محمد بن مروان السُدِّي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه.

ومحمد بن مروان السدي روايته هالكة[(٤)]، والكلبي متهم بالكذب[(٥)]، ولا يبعد أن يكون هذا الكتاب أصلاً للكلبي.

وهذه الرواية لا يحل الاعتماد عليها، ولا يستفيد منها المبتدىء في طلب العلم، أما العلماء فقد يستفيدون منها لإثبات قضايا معينة؛ كما لو أراد أحد العلماء أن يثبت قضية ضد أهل البدع، فيحتج بأنه حتى هذه الكتب التي فيها ضعفٌ في الرواية تذكر هذه القضية

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٥/٤ (٢٣٩٧)، والبخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ٤٨/١ (١٤٣) دون زيادة ((وعلمه التأويل)).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٧٩/٢، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٤٩٦/١.

(٣) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٨/٢-٢٨٤، والاستيعاب لابن عبد البر ٩٣٣/٣-٩٣٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣١/٣-٣٥٩.

(٤) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨٦/٨، والمجروحين لابن حبان ٢٨٦/٢، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٥٠٦ (٦٢٨٤).

(٥) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٧٠/٧ (١٤٧٨)، والمجروحين لابن حبان ٢٥٣/٢، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٤٧٩ (٥٩٠١).

سليمة.

فمثلاً قوله ﷻ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥]، ورد في هذا الكتاب -الذي لا يعتمد عليه- أن استوى معناها: استقر[1]، وهذه أحد عبارات السلف، فيحتج بمثل هذا.

وفي هذا الكتاب حكاية لبعض الأقوال، لكنها قليلة، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ١٤٦﴾ [النساء:١٤٦]، قال: ((في السِّرِّ. ويقال: في الوعد. ويقال: مع المؤمنين في السِّرِّ والعلانية. ويقال: في الجنة))[2].

وفي هذا التفسير عناية بأسباب النزول ومَن نزل فيهم الخطاب، ويكثر عن الكلبي -خصوصاً- ذكر من نزل فيهم الخطاب، فلا يبعد أن يكون مأخوذاً من هذه الرواية -كما سبق التنبيه على ذلك-.

********

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص: ٢٦٠.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ص: ٨٤.

## المطلب الثاني: (جزء فيه تفسير القرآن) ليحيى بن يمان (ت: ١٨٩هـ)

### التعريف بصاحب هذا التفسير:

هو: أبو زكريا، يحي بن يمان العجلي الكوفي الإمام الحافظ الصادق العابد المقرئ، روى عن هشام بن عروة، والمنهال بن خليفة، وإسماعيل بن أبي خالد، وجماعة، وتلا على حمزة الزيات، وصحب الثوري وأكثر عنه، وكان من العلماء العاملين، وأخرج له الجماعة سوى البخاري، وكانت وفاته سنة (١٨٩هـ)[١].

### التعريف بهذا التفسير:

طُبع هذا الكتاب بعنوان: (الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان، وتفسيرٌ لنافع بن أبي نعيم القاريء، وتفسيرٌ لمسلم بن خالد الزنجي، وتفسيرٌ لعطاء الخراساني) بتحقيق الأستاذ الدكتور: حكمت بشير يس.

وهذا الجزء يرويه أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الرملي الفقيه (ت: ٢٩٥هـ) -جامع هذا التفسير-، ولو سمي هذا التفسير باسم جامعه لكان صحيحاً؛ لرجوع كل الأسانيد إليه، وفي هذا التفسير مجموعة من الآثار الواردة عن السلف تبلغ قرابة أربع مئة (٤٠٠) أثرٍ.

ابتدأ جامع هذا الكتاب بقوله: (قرأت على أبي منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون قال: أخبركم أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن سحنون النَرْسي فيما أذن لك في روايته وكتب خطه لك بذلك في سنة ست وخمسين وأربعمائةٍ قال: قُريء على أبي الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل الواعظ المعروف بابن سمعون الواعظ، فأقر به مسجده في سنة سبع وعشرين وثلاثمائةٍ قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يونس المعروف بالمطرز قال: حدثنا محمد بن نصر قال ثنا يزيد بن موهب قال ثنا يحي بن يمان قال ثنا أشعث عن جعفر عن سعيد قال)[٢] ا.هـ.

---

(١) انظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٩٩/٩، وتهذيب الكمال للمزي ٥٥/٣٢، وطبقات الحفاظ للذهبي ٢٠٩/١.

(٢) تفسير يحيى بن يمان، ص: ٣٣.

ثم بدأ في التفسير فقال: (﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر:٨] قال: عن الصحة. ثنا أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله ﷻ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [الانشقاق:٢]قال: سِمِعَتْ وأَطَاعَتْ)[1].

ويستمر التفسير بهذا الأسلوب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى رواية عطاء الخراساني بإسناد آخر فيقول: (ثنا رشدين بن سعد، عن يونس بن يزيد، عن عطاء الخراساني في قوله ﷻ: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾ [هود:٦٩] قال: النَّضِيج السخن. وفي قوله: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف:١٢] قال: يسعى وينشط. ﴿أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۝١٠٢﴾ [يوسف:١٠٢] قال: هم بنو يعقوب إذ يمكرون بيوسف. وفي قوله ﷻ: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام:٢]: ما خلق في ستة أيام. في قوله ﷻ: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ قال: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة)[2].

## التعليق

يلاحظ في هذا التفسير أنه يذكر الروايات عن السلف كما بلغته من طريق (يحيى بن يمان، وأبي نعيم، وعطاء الخراساني، وأبي مسلم الزنجي)؛ وذلك دون ترتيب للآيات أو المرويات.

وهذا الكتاب لا يستفيد منه كلُّ أحدٍ، وإنما يستفيد منه من كان له عناية بالحديث وآثار السلف في التفسير.

*******

(١) تفسير يحيى بن يمان، ص: ٣٣.

(٢) تفسير عطاء الخراساني، ص: ٨٧.

## المطلب الثالث: (تفسير مقاتل بن سليمان) (ت: ١٥٠هـ)

### التعريف بصاحب هذا التفسير:

هو: أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، من أعلام المفسرين، أصله من (بلخ)، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة سنة (١٥٠هـ)، وكان متروك الحديث.

من كتبه: التفسير الكبير، ونوادر التفسير، والرد على القدرية، ومتشابه القرآن، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، والوجوه والنظائر[١].

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلف فيه[٢]:

طُبع هذا التفسير في مصر بتحقيق الدكتور: عبد الله شحاته –محقق الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان–، وهو كتاب نادر التوزيع حتى إن بعض المكتبات الخاصة لا تملكه.

وهذا التفسير هو المعتمد عن مقاتل بن سليمان، وهو الذي وقع فيه الكلام على مقاتل.

وقد ذكر طريقته في هذا الكتاب؛ فذكر من سيروى عنهم التفسير بدون إسناد أو نسبة للأقوال إلى قائليها، ثم بدأ في تفسير الآيات مباشرة دون أن ينسب القول لأحد، وهذا مما انتقد على مقاتل، فقد روى التفسير عن ثلاثين (٣٠) من الصحابة والتابعين، فلا تكاد تعرف نسبة القول لأحدهم، بالإضافة إلى أن مقاتلاً فيه كلام، فهو متهم بالكذب، وروايته لا تقبل[٣]، فزاد الطِّين بِلَّةً بهذا الصنيع.

---

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦٣/٧، والإرشاد للخليلي ٩٢٨/٣، وتهذيب الكمال للمزي ٤٣٥/٢٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣٢/١٣.

(٢) ينظر أيضاً: مقال بعنوان: (تفسير مقاتل بن سليمان)، من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٤٤٧/٢–٤٥٤.

(٣) قال أحمد بن حنبل: لا يعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيء. وقال عبد الرحمن بن الحكم: ترك الناس حديثه. وقال يحي بن معين: حديثه ليس بشيء. وقال أبو حاتم: وهو متروك الحديث =

يقول راوي التفسير -الهذيل بن حبيب-: (عن مقاتل بن سليمان، عن ثلاثين رجلاً، منهم اثني عشر رجلاً من التابعين، منهم من زاد على صاحبه الحرف، ومنهم من وافق صاحبه في التفسير، فمن الاثني عشر: عطاء بن أبي رباح، والضحاك بن مزاحم، ونافع مولى ابن عمر، والزبير، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن سيرين، وابن أبي مليكة، وشهر بن حوشب، وعكرمة، وعطية الكوفي، وأبو إسحاق الشعبي، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي، ومن بعد هؤلاء قتادة ونظراؤه، حتى ألَّفت هذا الكتاب)[1]، أي: أنه جمع المرويات عن السلف من الصحابة والتابعين، ثم انتخب منها دون أن ينسب الأقوال إلى أصحابها.

وذكر عبد الخالق بن الحسين -أحد رواة هذا التفسير- بقيةَ من روى عنهم فقال: ((ثم قال أبو محمد: قال أبي: فقلت لأبي صالح: لم كتب عن سفيان وهو أكبر منه؟ فقال: إن مقاتل عُمِّر، فكتب عن الصغار والكبار. قال أبو محمد: قال أبي: قال أبو صالح: بذلك أخبرني مقاتل))[2].

وفي هذا التفسير نجد أنه يورد السند في وسط التفسير أحياناً، لكنه قليل، كما أنه يورد الأحاديث النبوية بالإسناد.

وقد أتى هذا التفسير على جميع القرآن، وفيه عناية كبيرة بتفسير القرآن بالقرآن، وبذكر النظائر القرآنية، وإذا عرفنا أن مقاتلاً له كتاب في الوجوه والنظائر؛ فلا يستبعد أن يكون له عناية بهذا الجانب في تفسيره.

وفيه عناية أيضاً بقصص الآي، خصوصاً أخبار بني إسرائيل، ويعتبر صاحبه أحد الذين

=

(تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٢/٢)، وقال صالح بن أحمد بن حنبل: قال أبي: مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبنى أن أروى عنه شيئاً (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٥٥/٨)، وذكره الدارقطني في الضعفاء والمتروكين ص: ٥٢٧، وقال: "خراساني يكذب"، وقال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبد الله هو أحمد بن حنبل يسأل عن مقاتل بن سليمان، فقال: كانت له كتب ينظر فيها، إلا إني أرى أنه كان له علم بالقرآن" (تاريخ بغداد ٢٠٧/١٥).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢١/١.

(٢) المصدر السابق ٢١/١.

يعتنون بالرواية عن بني إسرائيل.

وفي هذا التفسير كذلك عناية بأسباب النزول، ومبهمات القرآن، ومَن نزل فيهم الخطاب، وفيه مسائل أخرى غير هذا، وما ذكرته إنما هو إشارة جُملية لما يحويه هذا التفسير.

وهذا التفسير لا يستفيد منه المبتديء، وإنما يستفيد منه المتخصصون حال الرجوع إلى الرواية ومعرفة القول فقط.

ويكثر نقل قول مقاتل في كتب التفسير الأخرى، وهى مأخوذة من هذا الكتاب، وقُصارى الأمر أن ينسب هذا التفسير إلى مقاتل حتى ولو كان ناقلاً له، لكنه لما اعتقد هذه الأقوال وقال بها فلا بأس أن تنسب إليه، وهذا ما جرى عليه المفسرون.

## نموذج من تفسير مقاتل:

قال عند تفسيره لسورة الفجر: ((فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥-١٦]: يقول: كلَّا ما أغنيتُ هذا الغنيَّ لكرامته، ولا أفْقَرْتُ هذا الفقير لهوانه عليَّ، ولكن كذلك أردت أن أحسن إلى هذا الغني في الدنيا، وأهون على هذا الفقير حسابه يوم القيامة. ثم قال في سورة أخرى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح:٥-٦] يقول: ليس من شدة إلا بعدها رخاء، ولا رخاء إلا بعده شدة، ثم انقطع الكلام، ثم ذكر أمية بن خلف الجمحي، وذكر مساوئه، فقال: ﴿كَلَّا﴾: ما الأمر كما قال أمية بن خلف ﴿بَل﴾ يعنى: لكن: ﴿لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر:١٧-١٨]؛ لأنهم لا يرجون بها الآخرة ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ [الفجر:١٩] يعنى: تأكلون الميراث أكلاً شديداً، ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر:٢٠] ويجمعون المال جمعاً كثيراً، وهي بلغة مالك بن كنانة. ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ ما يؤمنون بالآخرة، وهو وعيد، وأما قوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر:٢١] يعني: إذا تركت فاستوت الجبال مع الأرض الممدودة. ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢٢] وذلك أنه تنشق السماوات والأرض، فتنزل ملائكة كل سماءٍ، وتقوم ملائكة كل سماءٍ على حِدَة، فيجئ الله-

تبارك وتعالى- كما قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]وكما قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]: قياماً صفوفاً. قال: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٣] يجاء بها في مسيرة خمس مائة عامٍ، عليها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك، متعلِّقون بها يحبسونها عن الخلائق، وجوههم مثل الجَمْر، وأعينهم مثل البَرْق، فإذا تكلم أحدهم؛ تناثرت النار من فيه، بيد كل ملك منهم مِرزبة، عليها ألفان وسبعون رأساً كأمثال الجبال، وهي أخف في يده من الريش، ولها سبعة رؤوس كرؤوس الأفاعي، وأعينهم زُرْقٌ، تنظر إلى الخلائق من شدة الغضب، تريد أن تنفلت على الخلائق من غضب الله ﷻ، ويجاء بها حتى تقام على ساق العرش. ثم قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر:٢٣] يعني: أمية بن خلف الجمحي إذا عاين الغار والملائكة))(١).

## التعليق

قصدت بهذا النقل أن ينتبه إلى أن هذا التفسير لو قرأه إنسان ليس عنده علم؛ فإنه لا يستفيد منه، لأن فيه حق وفيه باطل، ولهذا يقول ابن المبارك عن هذا التفسير: (ما أحسن هذا التفسير لو كان ثقةً)(٢).

ولو نظرنا إلى هذا النموذج السابق من كتابه، وأردنا أن نتبين الصحيح منها مما هو ليس كذلك، نجد مثلاً أنه ذكر أوصاف الملائكة الذين يمسكون بالنار، وهذا أمر غَيبيٌّ لابد فيه من خبر عن المعصوم.

وذكره أن للنار سبعون ألف زمام ويجرها سبعون ألف ملك، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن ابن مسعود ﷺ(٣)، وأما غير ذلك مما ذكره فيحتاج إلى دليل.

---

(١) المصدر السابق ٤٨٣/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠١/٧.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه ١٤٩/٨ (٧٣٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ((قال رسول الله ﷺ: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)).

ونلاحظ أيضاً أنه عندما ذكر قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] لم يؤوِّل، وإنما أثبت المجيء واستدل على ذلك، فنقبل منه هذا القول لصحته.

*******

## المطلب الرابع: (تفسير سفيان الثوري) (ت: ١٦١هـ)

### التعريف بصاحب هذا التفسير:

هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أمير المؤمنين في الحديث، وكان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، ثم انتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً سنة (١٦١هـ).

من كتبه: الجامع الكبير، والجامع الصغير -كلاهما في الحديث-، وكتاب في الفرائض[١].

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

طبع هذا الكتاب عن نسخة أصلية، وليس مجموعاً، لكن هذه النسخة فيها نقص من أولها ومن آخرها، وقد حققه: امتياز عليّ عرشي، وسُرق في مكتبات لبنان، وطبع باسم أحد محققيها، ولا يزال موجوداً في الأسواق إلى الآن، لكن طبعته قديمة.

وقد استظهر المحقق أنه لسفيان الثوري؛ بدلالة قوله عند تفسير قول الله ﷻ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣]: (سفيان: عن أبيه سعيد بن مسروق عن أبي الضحى)[٢]، فاتضح من الاسم أنه سفيان الثوري، واستظهر أيضاً أنه من رواية تلميذه أبي حذيفة موسى بن مسعود النهدي، وقد ذُكر في كتب التراجم أن تلميذه هذا له كتاب في التفسير[٣]، ورواه الثعلبي أيضاً في مقدمة تفسيره[٤].

وجاء في أحد أسانيده عند قوله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات:١٤٣]: (حدثنا محمد ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن إبراهيم عن سعيد

---

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٣٥٠-٣٥٢، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/٥٥-١٢٥، والثقات للعجلي ١/١٩٠-١٩٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٧/٢٣٠-٢٣٦.

(٢) مقدمة المحقق: امتياز علي عرشي؛ لتفسير سفيان الثوري، ص: ٣٤.

(٣) أقول: تتبعت كتب التراجم وغيرها فلم أقف على من ذكر لتلميذه هذا تفسيراً.

(٤) الكشف والبيان ١/٨٢.

بن جبير في قوله: ﴿أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ [الصافات:١٤٣] قال: من المصلين)[١].

وقد حكى الثوري أقوال الصحابة ﷺ والتابعين مسندةً، ولكونه من أتباع التابعين فروايته غالباً تكون عن الصحابة وعن التابعين.

ويبتدأ تفسيره غالباً بقوله: (قال سفيان)، أو قوله: (سفيان: كذا)، وليس في هذا التفسير ترجيح ولا نقاش، وإنما هو كتاب رواية، يستفاد منه في تحقيق الروايات -كما ذكرت ذلك عند الحديث على الجزء المجموع فيه تفسير يحي بن يمان-.

## نموذج من تفسير سفيان الثوري:

قال في تفسير سورة المؤمنون: ((سفيان: في قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ١٢﴾ [المؤمنون:١٢]. سفيان عن ليث عن مجاهد: ﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [المؤمنون:١٤]. سفيان في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون:٤٤]. سفيان: عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ٥٠﴾ [المؤمنون:٥٠]. سفيان عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣﴾ [المؤمنون:٦٣]. قال: أعمال لا بد أن يعملوها. سفيان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد في قوله: ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا﴾ [المؤمنون:٦٤]. قال: أخذوا يوم بدر بالسيوف. سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ [المؤمنون:٦٧] قال: مستكبرين بالحرم. سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ وكان وتقولون غير الحق تدبرون. سفيان عن رجل عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩﴾ [المؤمنون:٦٩] قال: قد عرفوه ولكنهم حسدوه)[٢].

### التعليق

يتضح من هذا النموذج أن هذا التفسير فيه رأي سفيان، وفيه ما نقل عنه أيضاً، فهو

(١) تفسير سفيان الثوري، ص: ٢٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢١٧.

خلط بين الرأي والأثر بالنسبة لسفيان.

********

## المطلب الخامس: (تفسير القرآن) ليحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠هـ)[١]

### التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو: يحي بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي، مفسرٌ، فقيهٌ، عالمٌ بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، وُلد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونُسب إليها، ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها، وحج في آخر عمره، فتوفي في عودته من الحج بمصر سنة (٢٠٠هـ)[٢].

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه[٣]:

- **أولاً**: أخذ يحي بن سلام التفسير والنحو عن علماء البصرة، لذا ورد في كتابه بعض المسائل الإعرابية، ويُعدُّ بذلك من أوائل من أدخلوا علم النحو في التفسير الشامل للقرآن الكريم، ولا يعترض على ذلك بكتب أدخل كاتبوها فيها الإعراب كمعاني القرآن للفراء (ت: ٢٠٧هـ)، ومعاني القرآن للأخفش (ت: ٢١٥هـ)، فإن الحديث هنا عن كتاب تكاملت فيه المادة التفسيرية.

---

(١) حديث الدكتور: مساعد، في الدورة عن تفسير ابن سلام لم يكن في هذا الموضع، وإنما تحدث عن تفسير ابن سلام ومختصريه (هود بن محكم، وابن أبي زمنين) في كتب القرن الرابع بعد تفسير أبي الليث السمرقندي مباشرة، وذكر أنه أجَّل الحديث عن تفسير ابن سلام لكونه مخطوطاً، وكان سبب إدراجه في القرن الرابع وفاة ابن زمنين، فأضاف إليه مختصر هود بن محكم لبيان الفرق بينهما في العقيدة، وقد وضعت تفسير ابن سلام هنا ليكون الكتاب مرتباً على القرون، وقرنته بمختصريه لتناسب الحديث عليهما هنا.

(٢) انظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/١٥٥، وطبقات علماء إفريقية ص: ٣٧-٣٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩/٣٩٦-٣٩٧، وطبقات المفسرين للداودي ٢/٣٧١.

(٣) ينظر: المقالات التالية من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار:

١- (حول تفسير ابن سلام)، ١/٥٣٨-٥٣٩.

٢- (تفسير يحيى بن سلام ومختَصراه)، ٢/٤٥٥-٤٦٤.

– **ثانياً**: اعتمد الإسناد في روايته عن المفسرين، وذلك لتقدم وفاته، فهو في عصر الإسناد، ويورد أحياناً بعض الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ.

– **ثالثاً**: أكثرَ من النقل عن الحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، وقتادة (ت:١١٧هـ)؛ لكونهما من أعلام البصرة، كما روى عن مجاهد (ت: ١٠٤هـ)، وعكرمة (ت:١٠٥هـ)، والكلبي (ت: ١٤٦هـ)، وغيرهم.

– **ثالثاً**: اعتنى بإيراد القراءات وتوجيهها، ولكونه متقدماً فإنه يورد القراءات دون نسبة لمن قرأ بها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله ﷻ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤﴾ [التكوير:٢٤] قال: (﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾: الوحي. ﴿بِضَنِينٖ ٢﴾: ببخيل يبخل عليكم به، وبعضهم يقرأ ﴿بِظَنِين﴾[١]؛ أي: بمتهم)[٢].

– **رابعاً**: يصدِّر تفسيره أو تعليقه أو استنباطه بقوله: (قال يحيى)، ومثال ذلك ما ذكره عند قول الله ﷻ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ [النور:٦١] إلى آخر الآية، قال: (﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ تفسير قتادة، قال: مُنعت البيوت زماناً، كان الرجل لا يتضيَّف أحداً ولا يأكل في بيت غيره تأثُّماً من ذلك. قال يحيى: بلغني أن ذلك حين نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء:٢٩]. قال قتادة: فكان أول من رخَّص الله له الأعمى والأعرج والمريض، ثمَّ رخَّص لعامَّة المؤمنين. ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡ﴾، فقوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ قال بعضهم: هم المملوكون الذين هم خزنة على بيوت مواليهم. وقوله: ﴿صَدِيقِكُمۡ﴾ قيل للحسن: الرجل يدخل على الرجل يعني: فيأكل منه صديقه، فيخرج الرجل من بيته، ويرى الآخر الشيء من الطعام في البيت، فيأكل منه؟ فقال: كُلْ من طعام أخيك. قال يحيى: لم يذكر الله في هذه الآية بيت الابن، فرأيت النبي ﷺ إنما قال: "أَنْتَ

---

(١) أي بالظاء المشالة.

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٠١/٥.

وَمَالُكَ لِأَبِيْكَ"[1] من هذه الآية)[2].

– **خامساً**: مع تقدُّم هذا التفسير إلا إننا لا نجد نقولاً عنه في كتب التفسير المسندة؛ كتفسير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، وغيرهما، ويظهر أن سبب ذلك عدم انتشاره في المشرق العربي في عصرهما، ولم يُفِد منه السيوطي (ت: ٩١١هـ) كذلك في (الدر المنثور) –مع تأخره–، وإن كان ابن حجر قد أشار إليه في كتابه: (العجاب في بيان الأسباب) فقال: (ومنها تفسير يحيى بن سلام المغربي، وهو كبير في نحو ستة أسفار، أكثر فيه النقل عن التابعين وغيرهم، وهو ليّن الحديث، وفيما يرويه مناكير كثيرة، وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ومالك والثوري)[3].

– **سادساً**: يعتبر الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) من أول من استفاد من تفسير يحيى بن سلام، وقد توفي الطبري سنة (٣١٠هـ) وتوفي ابن أبي حاتم سنة (٣٢٧هـ)، فكأن تفسير يحيى ابن سلام لم ينتشر إلا بعد وفاة هذين الرجلين المعتنين بالإسناد.

ويصدِّر الماوردي عبارته كثيراً بقوله: (قال يحيى بن سلام)[4]، ويمكن لمن أراد البحث عن مرويات يحيى بن سلام ودراستها دراسة تفسيرية أن يعتمد على تفسير الماوردي –إضافة إلى بعض الكتب التي سنذكرها بعد قليل–.

ونقل بعض المفسرين عن الماوردي؛ كابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، والقرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ولأنهما اعتمدا تفسير الماوردي؛ استفادا منه في نقل تفسير يحيى بن سلام.

وتوجد بعض الروايات ليحيى بن سلام في كتب أبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) أيضاً –وإن كانت قليلة–[5]، وكثيراً ما يروي بالسند عن يحيى بن سلام تفاسير وآثار

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١١/٥٠٣ (٦٩٠٢).

(٢) تفسير يحيى بن سلام ١/٤٦٢.

(٣) العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر ١/٢١٩.

(٤) ينظر أمثلة لذلك في: النكت والعيون للماوردي ٤/٣٧، و٥/١٤٥.

(٥) ينظر من أمثلة ذلك في كتب أبي عمرو الداني: المكتفى في الوقف والابتدا ص: ٢٢، ٤٥، ٢٠٥، وجامع البيان ١/٤٠٣، و٤/١٧٥١. يقول الدكتور: سالم الجكني: (ظهر بكل جلاء ووضوح =

نبوية، والداني مغربي -كما هو معلوم- ويحيى بن سلام مغربي كذلك.

وبعض المغاربة الذين درسوا حياة يحيى بن سلام أرادوا أن يثبتوا أن الطبري نقل عن يحيى بن سلام[1]، والواقع أنه لا يوجد عند الطبري عن يحيى بن سلام إلا نقلٌ واحدٌ في مسألة فقهية[2]، أما من خلال تفسيراته فلا يوجد عند الطبري أي نقل تفسيري عن يحيى بن سلام.

*******

وبعد أن تحدثنا عن تفسير يحيى بن سلام البصري (ت: ٢٠٠هـ)؛ نأتي الآن للحديث عن تفسيرين متعلقين به من جهة كونهما مختصران، ولكنهما مختلفان في العقيدة، فالأول: تفسير هود بن محكم الإباضي (ت: ٢٨٠هـ)، والكتاب الآخر لأحد أئمة السنة الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين -شيخ قرطبة- (ت: ٣٩٩هـ)، وكلا الكتابين مطبوع ومتداول.

=

المكانة المهمة التي نالها شيخ المفسرين المغاربة الإمام يحيى بن سلاَّم-رحمه الله-في كتاب الداني "المكتفى" وذلك من خلال المادة العلمية الوافرة التي جاءت عنه، فلا تكاد تجد مسألة تفسيرية اعتنى بها الداني إلا وتجد ذكر ابن سلاَّم معها ... بلغت مرويات الداني عنه-رحمه الله-في التفسير في كتابه "المكتفى في الوقف والابتدا" أربعة وخمسين (**٥٤**) مروية ما بين مسندة أو موقوفة" (بحث منشور بعنوان: "الداني مفسِّراً من خلال كتابه الكتفى في الوقف والابتدا"، مجلة كلية الآداب، بجامعة أسيوط، بمصر، العدد ١٧)، وقد نوقشت رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، بعنوان: أقوال وآراء أبي عمرو الداني في التفسير، للباحث: عبد الهادي الشمراني.

(١) ومنهم الشيخ: محمد الفاضل بن عاشور، في (التفسير ورجاله) ص: ٢٨-٢٩، ونقلته عنه الدكتورة: هند شلبي في مقدمة تحقيقها لتفسير يحيى بن سلام ١/ ١٠.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٣/ ١٠٠ (٣٤٧٠).

## أ-(تفسير كتاب الله العزيز) هود بن مُحَكِّم الهَوَّاري الإباضي (ت: ٢٨٠هـ)

### التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو: هود بن محكم بن هود الهوارِّي، الإباضي عقيدةً، وهي فرقة معروفة من فرق الخوارج. نشأ في قبيلة هوَّارة البربرية، وأخذ العلم في طفولته عن والده بعد حفظه للقرآن، وتفقه في حلقات العلم التي كانت تعقد بالمساجد في القرى الجبلية، أو في البوادي، وكانت وفاته سنة (٢٨٠هـ)[(١)].

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه[(٢)]:

- **أولاً**: ليس لهذا الكتاب قيمة تفسيرية كبيرة؛ لأنه في الحقيقة اختصار غير واضح لكتاب يحي بن سلام (ت: ٢٠٠هـ)، خلافاً لاختصار ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ)، فهو اختصار منظم وواضح، ولم يضف ابن أبي زمنين أو يحرف في عبارات يحي بن سلام، أما هود بن محكم فقد تصرف في عباراته بما يوافق معتقده، ولذلك سأركز على هذه القضية المهمة.

وقد حقق هذا الكتاب محقق جزائري إباضي اسمه: بالحاج بن سعيد شريفي، ولم يترك قضية تتعلق بعقيدة الإباضية إلا أشار إليها في الحاشية، فكفانا بذلك مؤونة تتبع إشكالات العقيدة الإباضية عند المؤلف، ولذلك اعتمدت على كلام المحقق في هذا استخلاص هذه القضية.

- **ثانياً**: لم يبين هود بن محكم أنه استفاد من تفسير يحي ابن سلام، وقد تنبه المحقق إلى هذه القضية وذكرها في مقدمة تحقيقه، وتوصل في النتيجة الأخيرة إلى أن هذا الكتاب إنما هو مختصر لتفسير يحي بن سلام.

---

(١) انظر ترجمته في: الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، لأبي الفضل البرادي الإباضي، ص: ٤٩، ومعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، ص: ٣٣٨، ومقدمة: بالحاج بن سعيد شريفي، في تحقيقه لتفسير هود بن محكم ١/٥-٤٥.

(٢) ينظر أيضاً: مقال بعنوان: (تفسير يحي بن سلام ومختَصراه)، من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٢/٤٥٥-٤٦٤.

يقول محقق الكتاب: (فالملاحظ أنه يحذف الأحاديث التي لم تصحَّ عنده، والتي لا تتفق مع أصول مذهبه، لقد حذف أحاديث في تفسير قوله تعالى من سورة مريم، الآية ٨٧: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم:٨٧] وهي أحاديث في الشفاعة. وحذف أحاديث متتابعة في تفسير قوله تعالى من أوائل سورة الحجر: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر:٢] وهي أحاديث حول من سُمُّوا بالجهنميين، أو بعتقاء الرحمن، لم تصحَّ عنده كذلك)[١].

فيلاحظ أنه حذف هذه الأحاديث لعدم صحتها عنده من جهة الرأي وليس من جهة النقل، وذلك لتوافق معتقده الإباضي في تكفير أصحاب الكبائر، فهم لا يرون صحة هذه الأحاديث الدالة على خروج أصحاب الكبائر من النار[٢].

– **ثالثاً**: حذف الأسانيد، واختصر كثيراً من الآثار، وقد عدَّهما محقق الكتاب من عيوب هذا المختصر.

– **رابعاً**: يذكر كلامَ يحيى بن سلام بقوله: (قال بعضهم)، وقد يذكر هذه العبارة مع غيره لكنه في الغالب إذا ذكرها؛ فالمقصود يحيى بن سلام.

– **خامساً**: أدخل المؤلف بعض آراء الإباضية من فقه أو اعتقاد في مختصره، وقد تتبعه المحقق، وبيَّن مواطن ذلك.

يقول المحقق: (إذا وردت كلمة "أصحابنا" من الشيخ الهواري، فإنما يقصد بها علماء الإباضية، وسيذكرهم بأسمائهم عند تفسير بعض آيات الأحكام خاصة؛ يذكر جابر بن زيد، وأبا عبيد مسلم بن أبي كريمة. ويزيد أحيانًا: "والعامة من فقهائنا")[٣].

ومن أمثلة ما غيَّره المؤلف من تفسير يحيى بن سلام ليوافق معتقده، ما ذكره عند تفسير

---

(١) مقدمة المحقق لتفسير هود بن محكم ٣٧/١.

(٢) ينظر: قاموس الشريعة لجميل بن خميس السعدي ٣/٦، مطبعة السلطانية زنجبار، عام ١٩٢٢م، مشارق أنوار العقول للسالمي ص: ٣٧٩، ومنهج الطالبين وبلاغ الراغبين لخميس بن سعيد الرستاقي ٥٢٣/١.

(٣) حاشية مقدمة تفسير هود بن محكم ٨١/١.

قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١]، فقد فسرها يحيى بن سلام بقوله: (ولا تشركوا)، أما هود بن محكم فقال في اختصاره: (قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١] بالعمل بالمعصية)، وأوردها ابن أبي زمنين في اختصاره كما هي عند يحيى بن سلام(١).

يقول محقق كتاب هود بن محكم في مقدمته: (... وهذا تفسير ابن سلام ولا شكَّ - يقصد: لا تشركوا-، وما جاء من تغيير في التأويل أو من زيادة مما أثبته من "د، وق، وع" - يقصد نسخ المخطوط-، فهو للشيخ هود الهواري، وهذا نموذج من عمله في كامل الكتاب، فما جاء في تفسير ابن سلام موافقًا لأصول الإباضية أثبته، وما خالفها حذفه وأثبت مكانه ما وافق رأي الإباضية في مسألة الإيمان والكفر، وفي مسائل أخرى من مسائل الخلاف)(٢).

- **سادساً**: يعتبر هذا التفسير أول تفسير للإباضية، وإن كان محقق الكتاب رأى غير ذلك فقال: (إننا لا نعلم للإباضية تفاسير كاملة لكتاب الله قبل الهواري إلا تفسيرًا يُنسبُ إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم، وآخر إلى الإمام عبد الوهاب، وليس ببعيد أن يكون الهواري قد اطَّلع عليهما. وليس بين أيدينا الآن فيما بحثت وعلمت شيء من تفسيريهما حتى نتمكن من المقارنة بين هذه التفاسير، ونخرج بجوابٍ شافٍ في الموضوع، أما أبو المنيب محمد بن يانس، المفسر الذي ناظر المعتزلة، فلم يؤثر عنه أنه ترك أثرًا مكتوبًا في التفسير)(٣).

وهذا الكلام فيه نظر؛ لأنه لو كان هناك بالفعل تفسير للإباضية، فما الذي يدعو هود بن محكم إلى أن يختصر كتاب يحيى بن سلام؟! فقد كان من الأولى أن يعتمد على تفسير أئمته، بدلاً من أن يأتي إلى تفسير يخالف منهجه ومعتقده وآراءه الفقهية ثم يختصره ويدخل عليه الآراء الخاصة به، ولهذا فيعتبر هذا التفسير أول تفسير للإباضية، والله أعلم.

هذا ما يمكن ذكره باختصار عن هذا الكتاب، ومن أراد الاستزادة؛ فليرجع إلى مقدمة المحقق ففيها جملة مما يتعلق بمنهج المؤلف.

---

(١) ١/١٢٢.

(٢) ١/٨٤.

(٣) ١/٨٥.

## نموذج من تفسير هود بن محكم:

قال المؤلف: (قوله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ ﴾ [الأحزاب:١٣] أي: من المنافقين، ﴿ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾، يقوله المنافقون بعضهم لبعض. قال الكلبي: لما رأى المنافقون الأحزاب؛ جَبُنوا، وقال بعضهم لبعض: لا مقام لكم مع هؤلاء، فارجعوا إلى قومكم، يعنون المشركين، فاستأمنوهم. قال: ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾[الأحزاب:١٣] أي: خالية نخاف عليها السرق، في تفسير الكلبي، وفي تفسير الحسن: ضائعة، وهو واحد)[1].

### التعليق

قوله هنا: (وهو واحد) هذه غالباً عبارة يحيى بن سلام، لكن كما يلاحظ فهود بن محكم لا يميز عبارات يحيى.

*****

ثم قال: (يقولون: إن خليناها ضاعت. قال الله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍ﴾ يقولون: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾﴾. قال: ﴿ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ [الأحزاب:١٤] أي: لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه. ﴿مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ أي: من نواحيها، يعني: المدينة. ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾ أي: طلبت منهم ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ أي: الشرك. ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ أي: لجاءوها. رجع الضمير إلى الفتنة، وهي الشرك على تفسير من قرأها خفيفة، ومن قرأها مثقلة ممدودة ﴿لآتوها﴾ أي: لأعطوها، يعني الفتنة، وهي الشرك، لأعطوها إياهم. ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴾. وهذه الآية تقضي بين المختلفين. تنفي عن المنافقين الشرك، إن أبقى الله أهل الفراق ولم يكابروا عقولهم؛ إذ يقول: ﴿ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا ﴾ [الأحزاب:١٤] يعني: المنافقين، والفتنة تعني: الشرك، ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ أي: لجاءوها ولأعطوها. فكيف يُسألُون الشركَ وهم عليه، وكيف يجيئون إلى الشرك ويعطونه من طلبه منهم وهم عليه، فليتّق الله أهلُ الفراق لنا وليعلموا أن

(١) ٣٥٨/٣.

المنافقين ليسوا بمشركين، وقد برّأهم الله من الشرك في هذه الآية وأخبر أنهم لو دخل عليهم من أقطارها، يعني من نواحيها، ثم سئلوا الفتنة أي: الشرك لأتوها، أي: لأعطوها ولأتوه. ما أبين هذا بنعمة الله وبحمده).

**التعليق**

كأنه بذلك يرد على أهل السنة في مسألة مرتبطة بالإيمان والكفر، ويسميهم (أهل الفراق)، أي المفارقين له.

*****

ثم قال: (قوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ﴾ [الأحزاب:١٥] ذكروا أن جابر بن عبد الله قال: بايعنا رسول الله ﷺ أن لا نفرَّ، ولم نبايعه على الموت. ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ أي: يسألهم الله عن ذلك العهد الذي لم يُوفِّ به المنافقون. قال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ [الأحزاب:١٦] أي: في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ أي: إلى آجالكم)[1].

**التعليق**

سنتناول هذا الموضع أيضاً عند دراسة تفسير ابن أبي زمنين ليتضح الفرق بين اختصاريهما، ونرى كيف زاد هود بن محكم بعض الزيادات لتوافق معتقده، خلافاً لابن أبي زمنين.

*******

(١) ٣/٣٥٨-٣٥٩.

## ب-(تفسير القرآن العزيز) لابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ)

### التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري إلبيري، الإمام الفقيه الزاهد القدوة، أصله من العدوة من نفزة، كان من كبار المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم.

له تصانيف نافعة؛ منها: المنتخب في الأحكام، والمغرب في اختصار المدونة وشرح مشكها، والمهذب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ، والمشتمل في علم الوثائق، وحياة القلوب في الرقائق والزهد، وأصول السنة، ومختصر تفسير ابن سلام للقرآن -وهو الكتاب الذي نحن بصدد دراسته الآن-، إلى غير ذلك من الكتب والتصانيف النافعة[(١)].

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه[(٢)]:

- **أولاً**: يعتبر هذا الكتاب من التفاسير المتوسطة، وعباراته سهلة وواضحة، والمادة التفسيرية فيه متكاملة، فيمكن الاستفادة منه.

- **ثانياً**: اختصر ابن أبي زمنين هذا الكتاب من تفسير يحيي بن سلام البصري -كما ذكرت سابقاً-، وقد ذكر في مقدمته سبب اختصاره لهذا التفسير فأرجَع ذلك إلى[(٣)]:

أ- التكرار الكثير في تفسير يحيى بن سلام.

ب- ذِكر يحيى بن سلام لأحاديث يقوم علم التفسير بدونها.

ت- قلة نشاط الطالبين للعلوم في زمانه، وهذه مشكلة قائمة في كل زمان، وكل عالم يشتكي هذه المشكلة، كما قال الإمام ابن جرير الطبري لأصحابه: (أتنشطون

---

(١) انظر ترجمته في: ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/٦٧٢-٦٧٤، وبغية الملتمس للضبي ص: ٨٧-٨٨، وطبقات المفسرين للسيوطي ص: ٨٩-٩٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/١٨٨-١٨٩.

(٢) ينظر أيضاً: مقال بعنوان: (تفسير يحيى بن سلام ومختَصراه)، من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار ٢/٤٥٥-٤٦٤.

(٣) ينظر: مقدمة تفسير ابن أبي زمنين ١/١١١.

لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال: تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله ماتت الهمم. فاختصره في نحو مما اختصر التفسير)(١)، لكن لا يزال في الأمة خير كثير ولله الحمد والمنة.

– **ثالثاً**: أضاف ابن أبي زمنين بعض الأمور التي رآها تنقص تفسير يحيى بن سلام، فذكر ما لم يفسره يحيى، وأضاف كثيرًا مما لم يذكره من اللغة والنحو على ما نقل عن النحويين وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل، وكأنه بذلك يقرر أنه استفاد من أولئك اللغويين الذين سلكوا مناهج الفقهاء في التأويل؛ فلم يأخذ ممن خالف علماء السنة.

وقد ميَّز ابن أبي زمنين زياداته بقوله: (قال محمد)، ولذلك يمكن أن نفرق بين الأصل –تفسير يحيى– وبين ما زاده عليه، خلافاً لاختصار هود بن محكم، فإنه لم يذكر ما يدل على زياداته –كما ذكرت سابقاً–.

ومن الزيادات المهمة التي زادها ابن أبي زمنين: الاستشهاد للمعاني اللغوية بالشعر، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [الانشقاق:٢]، قال: (قال محمد: يقال: أذِنتُ للشيءِ آذَنُ أَذَنًا: إذا سمعت. قال الشاعر: صمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذُكرتُ به * وإن ذُكِرتُ بسوءٍ عندهم أذِنوا)(٢).

– **رابعاً**: تميَّز هذا التفسير بأنه من التفاسير المتقدمة، وقد اعتنى المؤلف بنقل آثار السلف، وخاصة على تفسير يحيى بن سلام –الذي لم يطبع بعد كاملاً–.

– **خامساً**: سَلِم هذا الكتاب من التأويلات المنحرفة، وذلك لأن مختصِره–رحمه الله–من أئمة أهل السنة والجماعة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ

(١) ينظر: معجم الأدباء لياقوت ٢٤٤٢/٦.

(٢) تفسير بن أبي زمنين ٣٠٧/٢.

﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:٣]، قال: -والكلام ليحيى-((﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا﴾: اختبرنا. ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: بما أظهروا من الإيمان. ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾: يعني الذين يظهرون الإيمان، وقلوبهم على الكفر، وهم المنافقون، وهذا علم الفعال)[1].

ثم قال: (قال محمد: معنى علم الفعال: العلم الذي تقوم به الحجة، وعليه يكون الجزاء، وقد علم الله الصادق والكاذب قبل خلقهما).

**التعليق**

علم الله تعالى بالموجودات قبل خلقها، وقوله تعالى: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾: ليس علماً جديداً، وإنما هو علم مرتبط بحدوث هذا الحدث.

– **سادساً**: يتميز أيضاً بسلاسة عباراته ووضوحها وعدم غموضها.

– **سابعاً**: تميز بما فيه من الاختصار والزيادات المهمة التي زادها من الاستشهاد بالشعر وغيره، ومن ذلك ما ذكره عند قول الله سبحانه: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢﴾ **[الانشقاق:٢]**قال: ( هِيَ مِثْلُ الْأُولَى. قَالَ مُحَمَّدٌ: يُقَالُ: أَذِنْتُ لِلشَّيْءِ آذَنُ أَذَنًا إِذَا اسْتَمَعْتُ. قَالَ الشَّاعِرُ: صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ * وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا)[2].

– **ثامناً**: تميز المؤلف تميزاً واضحاً في نقله لتوجيه القراءات، خصوصاً من تفسير أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله ﷻ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾ [الملك:٢٧] قال: (قال محمد: ذكر أبو عبيد أن من القُرَّاء من قرأ: ﴿ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾ خفيفةً، لأنهم كانوا يدعون بالعذاب في قوله: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٢﴾ [الأنفال:٣٢]، وقرأ أكثرهم تدَّعون بالتشديد، وهي القراءة عندنا، والتشديد مأخوذ من

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/٣٤٠.

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٥/١١١.

التخفيف تدعون: تفعلون، وتدعون: تفتعلون مشتقة منه)[1].

## التعليق

بهذا يتضح أن ابن أبي زمنين استفاد كثيراً من توجيهات أبي عبيد (ت: ٢٢٤هـ) في القراءات، ولأبي عبيد كتاب مستقل في القراءات، ويقال: إنه أول من دون القراءات وجمعها[2]، واستفاد ابن أبي زمنين كذلك من أئمة اللغة غير أبي عبيد كالزجاج وغيره.

## نموذج من تفسير ابن أبي زمنين:

قال المؤلف-رحمه الله-: (﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الأحزاب:٩] يعني أبا سفيان وأصحابه. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا نُّوحٍ﴾ قال مجاهد: وهي الصَّبا، كانت تكبهم على وجوههم وتنزع الفساطيط حتى أظعنتهم. ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة. ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب:١٠] تفسير الحسن: جاءوا من وجهين من أسفل المدينة ومن أعلاها. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾: من شدة الخوف. ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ يعني: المنافقين ظنوا أن محمدا سيقتل وأنهم سيهلكون، قال الله: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب:١١] أي: اختبروا. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ أي: حركوا بالخوف وأصابتهم الشدة. ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب:١٢] وهم المنافقون. المرض في تفسير قتادة: النفاق. ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: فيم يزعم أنه رسوله. ﴿إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ أي: وعدنا الله النصر فلا ترانا ننصر وترانا نقتل ونهزم، ولم يكن فيما وعدهم الله ألا يقتل منهم أحد وألا يهزموا في بعض الأحايين وإنما وعدهم النصر في العاقبة. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب:١٣]

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٦/٥.

(٢) يقول أبو زيد الأنصاري عن كتاب أبي عبيد في القراءات: "وله في القراءات كتاب جيد ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله" (تاريخ بغداد للخطيب الغدادي ٣٩٢/١٤)، وينظر: جهود الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام في علوم القراءات للدكتور: أحمد بن فارس السلوم ١٩٩-٢٢٤.

قال الكلبي: لما رأى المنافقون الأحزاب؛ جَبُنُوا، فقال بعضهم لبعض: لا والله ما لكم مقام مع هؤلاء، فارجعوا إلى قومكم يعنون المشركين فاستأمنوهم. ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: خالية نخاف عليها السرق، قال الله ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾إن الله يحفظها إن يريدون إلا فرارا. ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ [الأحزاب:١٤] يقول: لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه من نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يعني: الشرك ﴿لَأَتَوْهَا﴾ لجاءوها، وتقرأ ﴿لآتَوْهَا﴾ بالمد المعنى لأعطوها. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ﴾ [الأحزاب:١٥]أي ينهزمون ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)﴾ [الأحزاب:١٥]يعني: يسألهم عن العهد الذي لم يفوا به)[1].

********

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣٩١/٣.

## المطلب السادس: (تفسير عبد الله ابن مسعود ﷺ)، جمع الدكتور: محمد أحمد عيسوي

### التعريف بعبد الله بن مسعود ﷺ:

الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، وأمه: أم عبد بنت عبد ود الهذلية.

روى عن النبي ﷺ، وعن عمر بن الخطاب، وسعد بن معاذ، وصفوان بن عسال، وغيرهم. وأخذ من في النبي ﷺ سبعين سورة، وقال عنه النبي ﷺ وقال: ((من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أم عبد))[1]، وكان يقول عن نفسه كما روى تلميذه أبو وائل عنه: (إني لأعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم، وما في كتاب الله سورة ولا آية إلا وأنا أعلم فيما زلت، ومتى نزلت. قال أبو وائل: فما سمعت أحداً أنكر ذلك عليه)[2]، وكانت وفاته سنة (٣٢هـ)[3].

### نموذج من تفسير عبد الله بن مسعود ﷺ، جمع الدكتور: محمد أحمد عيسوي:

قال جامعه: (سورة الأعلى، ابن كثير: روي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى:١]، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:١]، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:١]، وهكذا روي هذا الحديث من طريق جابر وعبد الله بن مسعود ﷺ وغيرهما. القرطبي: روى عن عليٍّ ﷺ وعبد الله بن مسعود ﷺ وغيرهما: أنهم كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا: "سبحان ربي الأعلى"، امتثالاً لأمره في ابتدائها. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ٨﴾ [الأعلى:٨]، الرازي: قال ابن مسعود ﷺ: اليسرى: الجنة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢١١/١ (٣٥)، وابن ماجة في السنن، المقدمة، فضل عبد الله بن مسعود ﷺ ٤٩/١ (١٣٨)، وابن حبان في الصحيح، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ﷺ، ذكر الأمر بقراءة القرآن على ما كان يقرؤه عبد الله بن مسعود ﷺ ٥٤٢/١٥ (٧٠٦٦).

(٢) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٩٩١/٣.

(٣) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ١١١/٣-١١٩، والاستيعاب لابن عبد البر ٩٨٧/٣-٩٩٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٦١/١-٥٠٠.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى:١٤-١٥]، السيوطي: وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق الأحوص عن ابن مسعود ﵁ قال: إذا خرج أحدكم يريد الصلاة فلا عليه أن يتصدق بشيء لأن الله ﷻ يقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾. البغوي: كان ابن مسعود ﵁ يقول: رحم الله رجلاً تصدق ثم صلى، ثم يقرأ هذه الآية. القرطبي: روي عن عبد الله ﵁ قال: من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له)[١].

**يلاحظ على هذا الجمع ما يلي[٢]:**

١- بعض الآثار ليست من تفسير ابن مسعود ﵁، وإنما هي من مروياته عن النبي ﷺ كما في المثال الأول الذي نقله عن ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).

٢- بعض الآثار ليست من القضايا التفسيرية، بل من القضايا المتعلقة بالقرآن، كالقضية القرائية التي ذكرها في افتتاحهم لهذه السورة امتثالاً للأمر في أولها.

٣- أغلب هذا الجمع لم ينظر فيه إلى الإسناد.

(١) تفسير ابن مسعود ﵁ -جمع وتحقيق ودراسة- لمحمد أحمد عيسوي٢/٧٠٢-٧٠٣.

(٢) ومن الملاحظات أيضاً على هذا الجمع أنه: "اشتملت هذه الرسالة على (١٣٤١) قولًا، وبعد تمحيصها استبعدت منها (٥١٤) قولًا؛ منها (٤١٧) أقوال بعيد الصلة عن التفسير، و(٢٣) قولًا مكررًا، و(٥١) قولًا في فضائل القرآن، و(٢٣) قولًا في علوم القرآن، فأصبحت مادة التفسير فيها (٨٢٧) قولًا، تحليلها كالتالي: روى عن النبي ﷺ (٧٣) قولًا، وعن الصحابة ﷺ قولين، وعن التابعين قولًا واحدًا، ورُوي عنه (٧٥١) قولًا؛ أكثرها في التفسير بالرأي والاجتهاد، وبلغت (٥١٠) قولًا. يليها التفسير بأخبار بني إسرائيل، وبلغت (٩٢) قولًا. ثم التفسير بأسباب وأحوال النزول، وبلغت (٤٩) قولًا. ثم التفسير باللغة العربية، وبلغت (٣٠) قولًا. ثم المرفوع حكمًا، وبلغت (٢٢) قولًا. ثم التفسير بالسنة، وبلغت (٢١) قولًا. ثم التفسير بالقرآن، وبلغت (١٥) قولًا. ثم التفسير بالتاريخ، وبلغت (٣) أقوال" (ينظر: المفسرون من الصحابة ﷺ -جمعاً ودراسة وصفية- للباحث: عبد الرحمن المشد ٣٧١/١).

## المطلب السابع

## (تفسير عائشة رضي الله عنها)، جمع الدكتور: عبد الله أبو السعود

### التعريف بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

أم المؤمنين عائشة بنت الخليفة الراشد أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر القرشيّ التميميّ، كنيتها: أم عبد الله، وأمها: أم رومان بنت عمير رضي الله عنها.

روت عن: النبي ﷺ، وأكثرت عنه، وروت عن أبيها أبي بكر الصديق، وعن: عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وفاطمة الزهراء ﵂، وغيرهم. وكانت فصيحة، فقيهة، عالمة بالشعر والطب؛ فعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: (ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا)[1]، وكانت وفاتها سنة (٥٨هـ)[2].

### نموذج من تفسير عائشة رضي الله عنها، جمع الدكتور: عبد الله أبو السعود بدر:

قال جامعه: (قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨]، قال النسائي: أخبرنا محمد بن عبد الله الخلنجي قال: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، قال: حدثنا حصين بن نافع المازني، قال: حدثني الحسن، عن سعد بن هشام، أنه دخل على أم المؤمنين، قال: قلت: إني أريد أن أسألك عن التبتل، فما ترين فيه؟ قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨]؟! فلا تتبتل. وقال أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم قال: حدثنا مبارك، عن الحسن، عن سعد بن هشام بن عامر، قال: أتيت عائشة فقلت: فإني أريد أن أتبتل، قالت:

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب المناقب، باب من فضل عائشة ١٨٨/٦ (٣٨٨٣)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب".

(٢) انظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦/٨-٦٥، والاستيعاب لابن عبد البر ١٨٨١/٤-١٨٨٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٥/٢-٢٠١.

لا تفعل، أما تقرأ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب:٢١]، فقد تزوج رسول الله ﷺ، وقد ولد له. قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم:٤٨]، قال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾، فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: على الصراط. قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء:١] قال الحاكم: حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك الزاهد ببغداد، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلوي، حدثنا محمد بن كثير الصنعاني، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتدَّ ناس ممن كان آمنوا به وصدَّقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! فقال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبا بكر الصديق. قوله تعالى ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء:١١٠]، قال البخاري: حدثنا علي، حدثنا مالك بن سعير، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾: أنزلت في الدعاء. وقال الطبري: حدثني أبو السائب قال: حدثنا حفص بن غياث، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية في التشهد: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾)[١].

---

(١) (تفسير عائشة -رضي الله عنها-)، جمع الدكتور: عبد الله أبو السعود، ص: ٢٠٠-٢٠١.

## التعليق

في هذه الآية الأخيرة التي أوردها؛ تُقدَّم رواية البخاري على رواية الطبري من جهة الإسناد، فعلى هذا؛ يكون القول الأول هو الصحيح، ويمكن أن يقال: نزلت هذه الآية في الدعاء، ونزلت في التشهد الأخير أيضاً، لأن التشهد الأخير دعاءٌ، فقول عائشة رضي الله عنها (أنزلت في الدعاء)، و(نزلت هذه الآية في التشهد)، ليسا متناقضين، بل كلاهما صحيح.

**ويلاحظ على هذا الجمع ما يلي**[1]:

١- العناية بالإسناد.

٢- بعض الروايات التي أوردها الجامع تدخل في الاستنباط؛ كالرواية التي رواها عن عائشة رضي الله عنها في النهي عن التبتل.

٣- بعض المرويات مروية عن رسول الله ﷺ وليست من رواية عائشة؛ كالرواية التي أوردها في قوله ﷻ: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

*******

(١) ومن الملاحظات أيضاً على هذا الجمع أنه: "اشتملت هذه الرسالة على (٣٥٦) قولًا، وبعد تمحيصها استبعدت منها (٢٦٢) قولًا؛ منها قول في فضائل القرآن، وقول في علوم القرآن، و(٢٣٤) قولًا بعيد الصلة عن التفسير، و(٢٦) قولًا مكررًا، فأصبحت مادة التفسير فيها (٩٤) قولًا، تحليلها كالتالي: روت عن النبي ﷺ (٢٥) قولًا، و(٣) عن الصحابة ﷺ. ورُوي عنها (٦٦) قولًا؛ أكثرها في التفسير بالرأي والاجتهاد، وبلغت (٢٩) قولًا. يليها التفسير بأسباب وأحوال النزول، وبلغت (٢٧) قولًا. ثم التفسير بالقرآن، وبلغت (٥) أقوال؛ منها (٣) أقوال في بيان القراءات، وقولان في بيان الناسخ والمنسوخ. ثم الأقوال التي لها حكم الرفع وبلغت قولين. ورُوي عنها قول واحد في كل من: التفسير بالسنة، والتفسير باللغة العربية، والتفسير بالتاريخ" (ينظر: المفسرون من الصحابة ﷺ -جمعاً ودراسة وصفية- للباحث: عبد الرحمن المشد ١/ ٤٤١-٤٤٢).

## المطلب الثامن: أمور مهمة تتعلق بجمع مرويات السلف

بعد أن تناولنا الكتب المروية في التفسير في هذين القرنين، وتناولنا شيئاً من المجموع، ننتقل بعد ذلك إلى الكتب المشاركة في علم التفسير في هذين العصرين –القرن الأول والثاني–، وقبل أن نبدأ في هذا نشير إلى ثلاثة أمور مهمة تتعلق بجمع مرويات السلف، وهي:

**الأمر الأول:** هناك مرويات للمُقِلِّين في رواية التفسير، سواءً كانوا مُقِلِّين بأنفسهم، أو أن الوارد عنهم قليل كعبد الله بن الزبير ﷺ، وعبد الله بن عمر ﷺ[1]، والربيع بن خثيم، وميمون بن مهران، وغيرهم ممن له تفسيرات متفرقة، ومروياتهم لم تُجمع –حسب علمي– إلى الآن، ويحسن لو جمعت هذه المرويات لتكتمل حلقة مرويات السلف[2].

وهؤلاء المقِلُّون يمكن دراستهم من خلال الأقطار، فمثلاً تجمع تفاسير المقلين المكيين، وتفاسير المقلين العراقيين، وتفاسير المقلين المدنيين، وهكذا.

**الأمر الثاني:** وهو ما يتعلق بالموازنة بين المرويات التفسيرية عن المكثرين، وهذا أيضاً مما لم يطرق إلى الآن –حسب علمي–.

مثلاً؛ ابن عباس ﷺ، ومجاهد، والحسن، وقتادة؛ لهم أقوال كثيرة في التفسير، فنحتاج إلى

---

(١) بلغت مرويات عبد الله بن الزبير ﷺ في التفسير (٤٠) رواية، وبلغت مرويات عبد الله بن عمر ﷺ في التفسير (١٤٤) رواية، ينظر: (المفسرون من الصحابة ﷺ) لعبد الرحمن المشد، ١/٥٨١ و١/٦٠٢.

(٢) جُمعت مرويات الصحابة ﷺ في رسالة ماجستير للباحث: عبد الرحمن بن عادل المشد، سنة ١٤٣٦هـ، ونشره مركز (تفسير للدراسات القرآنية) بعنوان: (المفسرون من الصحابة رضي الله عنهم–جمعاً ودراسة وصفية–)، وسجلت تكملةً له ثلاثة رسائل علمية في جمع مرويات التابعين، ورسالة واحدة في جمع مرويات أتباع التابعين، بكلية القرآن الكريم، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وسجلت رسالة بعنوان: (مرويات المقلين من الصحابة والتابعين ذوي ثلاث آراء فأقل من خلال تفسير الدر المنثور للسيوطي –جمعاً ودراسة–) بكلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار بالعراق، للباحث: أحمد جاسم محمد عواد. ويلاحظ أن تاريخ إلقاء الدكتور: مساعد الطيار لهذه الدورة كان سنة ١٤٢٣هـ.

أن نوازن بين الروايات الواردة عن ابن عباس ﷺ؛ لأن بعض من يجهل طريقة السلف في التفسير يزعم أنه قد ورد عن ابن عباس ﷺ روايات متناقضة في التفسير، وفي الحقيقة أنك إذا تأملتها وعرفت طريقة السلف في التفسير تجدها غير متناقضة.

والخلاف في أغلب المرويات عن السلف يدخل في خلاف التنوع، وليس بينه تضاد، بل إن التضاد نادر جداً في تفسير الواحد منهم، وإذا ورد عن أحدهم قولان متضادان؛ فإن في ذلك دلالة على أنه قد ترك أحد القولين وذهب إلى القول الآخر، لأنه لا يمكن أن نأخذ بالقولين معاً وهما متضادان، وهذا له أمثلة كثيرة(١)، لكن أكتفي هنا بهذه الإشارة.

ومن طرق الموازنة أيضاً: الموازنة بين طريق علي بن أبي طلحة، وبين ما رواه مجاهد أو عكرمة عنه، وتحليل ذلك، وهل هي من خلاف التنوع؟ أم من خلاف التضاد؟ وهذا مهم جداً؛ لأنه سيتبين بذلك بعض الروايات المكذوبة عليهم.

**الأمر الثالث**: ماذا بعد جمع هذه المرويات؟

أقول: هذا الجمع -كما هو واضح- قد اعتمد على إفراد كل مفسرٍ بكتاب، فمِن المستحسن أن تجمع هذه الروايات للآية الواحدة، وتدرس مرويات السلف في كل آية.

وهذا الجمع يفيد في معرفة الائتلاف والاختلاف الحاصل في التفسير، وقد يقول قائل: إن هذا لا فائدة منه لأنه موجود في كتب التفسير كابن جرير وابن كثير وغيرهما! وهذا صحيح، لكن قد تدرس هذه الأقوال بخطة معينة من خلال ما طرحة شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة اختلاف التنوع واختلاف التضاد، فتدرس هذه الآثار من جهة المعنى لمعرفة مدى احتمال الآية لها، ومدى بُعدها وقُربها منه، ومدى كونها تجتمع وتأتلف على قول واحد من الأشياء المرتبطة بهذا الموضوع.

ومن هذا الجمع أيضاً يمكن معرفة أسباب الاختلاف التي دعت المفسرين إلى القول بهذه الأقوال المتعددة.

---

(١) من ذلك ما ورد عن ابن عباس ﷺ في تفسير (العاديات) من قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾[العاديات:١] بأنها: الخيل، ورُوي عنه أنها: الإبل. ينظر: جامع البيان للطبري ٢٤/٥٥٧-٥٥٩.

**وأخيراً** فإنه بجمع الأقوال يمكن معرفة المقصود بالآية، فجمع الأقوال الواردة عن السلف أدل على المقصود كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام -رحمه الله- في مقدمته في أصول التفسير[1].

(١) قال شيخ الإسلام: "وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جداً؛ فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين" ينظر: مجموع الفتاوى ٣٤٢/١٣، وينظر: شرح عبارة ابن تيمية للدكتور مساعد الطيار في (شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية) ص: ١٢٢، ومقال بعنوان: (طريقة في كيفية سبك عبارات الاخلاف في التفسير) للدكتور: مساعد الطيار، في كتابه: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (٢) ١٨٦/٢-١٨٧.

## المبحث الثاني

## الكتب المشاركة في علم التفسير في القرنين الأول والثاني

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: (غريب القرآن) المنسوب لزيد بن عليٍّ (ت: ١٢٠هـ).
- المطلب الثاني: (كتب الوجوه والنظائر).

## المطلب الأول: (غريب القرآن) المنسوب لزيد بن عليٍّ (ت: ١٢٠هـ)

### التعريف بمن نُسب إليه هذا التفسير:

هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين العلويّ المدني،روى عن أبيه زين العابدين، وأخيه الباقر، وعروة بن الزبير. قال عنه أبو حنيفة: (ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً)[١]، قال عيسى بن يونس: (جاءت الرافضة زيداً، فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى ننصرك. قال: بل أتولاهما. قالوا: إذاً نرفضك، فمن ثم قيل لهم: الرافضة)، وقُتل وصلب سنة (١٢٠هـ).

### التعريف بهذا التفسير:

من الكتب المشاركة في علم التفسير في هذين القرنين كتاب (غريب القرآن) المنسوب لزيد بن عليٍّ (ت: ١٢٠هـ) الذي تنسب إليه فرقة الزيدية، وقد طُبع هذا الكتاب بتحقيق أحد الزيدية المعاصرين[٢] ونسبه إلى زيد بن عليٍّ.

هذا مع أن الذي رواه عن زيد بن عليٍّ هو أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي، وقد ذكر علماء الجرح والتعديل في ترجمته أنه: (كذابٌ متروكُ الحديث)[٣]، ومعلوم أنه إذا انفرد كذابٌ متروكُ الحديث برواية كتاب؛ فإن روايته له لا تقبل[٤].

---

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٢٥٠-٢٥١، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ص: ١٠٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥/٣٨٩-٣٩١.

(٢) هو الدكتور: محمد يوسف الدين، رئيس قسم الدراسات الإسلامية، بالجامعة العثمانية -سابقاً-، بالهند، توفي سنة ١٩٩٧م -رحمه الله-.

(٣) ينظر: الكامل لابن عدي ٥/١٢٣ (١٢٨٩)، والضعفاء للدارقطني ٢/١٦٦ (٤٠٠)، تهذيب الكمال للمزي ٢١/٦٠٣ (٤٣٥٧)، وتقريب الهذيب لابن حجر ص: ٢٤ (٥٠٢١).

(٤) قال السيوطي: (وَإِذَا قَالُوا: مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ أَوْ وَاهِيهِ أَوْ كَذَّابٌ؛ فَهُوَ سَاقِطٌ لَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ، وَلَا يُعْتَبَرُ بِهِ، وَلَا يُسْتَشْهَدُ) تدريب الراوي ١/٤٠٤، وقال أيضاً: (وَالْحَسَنُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، لَا يَصْلُحُ لِلْمُتَابَعَاتِ) ١/٢٨٣، وانظر: شرح الباعث الحثيث لأحمد شاكر، ص: ١١٦، وشفاء العليل لمصطفى بن إسماعيل ١/٢١٣.

ولا تعرف رواية هذا الكتاب إلا من طريق هذا الكذاب، فلا يبعد أن يكون هو الذي وضع الكتاب فذكر تفسيرات لزيد وأضاف عليها من عنده وأضاف إليه ما وجده من تفسيرات.

ومما يستأنس به لهذا الاحتمال الذي ذكرته أنه ينسب الكلام أحياناً في بعض المواضع إلى زيد فيقول: (قال زيد -عليه السلام-)، مع أن الكتاب كله لزيد، وهذا ليس تأكيداً وإنما من باب الاستئناس؛ لأنه طالما أن الكتاب لزيد فالمفترض أن يرويه من أوله إلى آخره عنه.

ومن الأمثلة التي يستأنس بها أيضاً في هدم نسبة هذا التفسير لزيد بن عليٍّ ما يلي:

١- قوله عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٩]: (الصيب: المطر وجمعه صيائب)[١]، وزيد بن عليٍّ من مفسري السلف، ولم تعهد العناية بالجانب اللغوي عن مفسري أتباع التابعين من السلف، مما يدل على أنه من صنع متأخر.

٢- قوله عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]: (معناه: علا وقهر، والعرش: العزة والسلطان)[٢]، وهذا التفسير أيضاً فيه إشكال، لأن تفسيرات السلف في ذلك العصر لم يرد فيها مثل هذا التأويل.

٣- قوله عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١﴾ [الأنفال:١١]: (معناه: يفرغ عليهم الصبر)[٣]، وهذا التفسير الذي ذكره إنما ورد عن أبي عبيدة معمر بن المثنى[٤]، وهو تفسير من يجهل الآثار الواردة في غزوة بدر[١]، ولا يعقل أن مثل زيد بن عليٍّ الفقيه العالم، يجهل خبر غزوة بدر فيفسر بهذا التفسير.

---

(١) تفسير غريب القرآن المجيد، المنسوب لزيد بن علي، ص: ٤١.

(٢) تفسير غريب القرآن المجيد، المنسوب لزيد بن علي ، ص ١٥٢.

(٣) تفسير غريب القرآن المجيد، المنسوب لزيد بن علي ، ص ١٠٤.

(٤) مجاز القرآن لمعمر بن المثنى ٢٤٢/١، وردَّ أبو جعفر الطبري قول معمر هذا، فقال: "وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة، أن مجاز قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١﴾ [الأنفال:١١]: =

ولا أستبعد أن يكون هذا الراوي الذي جمع التفسير قد استفاد من كتاب أبي عبيدة كثيراً، ومن غيره كذلك، والعجيب أن المحقق قَلَب القضية فقال: إن أبا عبيدة معمر بن المثنى قد استفاد كثيراً من تفسير زيد ولم يشر إلى ذلك.

والحقيقة -فيما يبدو لي- مقلوبة؛ فالذي جمع تفسير زيد وأضاف إليه هذه الإضافات هو من استفاد من تفسير أبي عبيدة معمر بن المثنى لأنه يروي عنه أشياء بنصها كما ذكرت.

ومما يدل على ذلك أيضاً أنه قال في تفسير قوله ﷻ: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام:٧٣]: (فالصور: القرن، والصور جمع صورة)[٢]، وهذا لا يعقل أن يقوله زيد؛ لأن المعروف أن الصور في الآيات هو ما ورد في الأحاديث من أنه القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل[٣]، ولا يتصور أن زيداً -رحمه الله- يجهل مثل هذا التفسير، ثم كيف يقول زيد أن الصور جمع صورة؟! وهذا قول أبي عبيده معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن[٤]، وهو الذي اعتمد عليه المخالفون في إثبات بعض الأحاديث المتعلقة بالمعاد.

فالصحيح أن زيد بن عليٍّ ليس له تفسير، ولا يبعد أن يكون هذا المتهم بالكذب هو الذي جمع هذا التفسير.

## نموذج من غريب القرآن المنسوب لزيد بن علي:

(سورة اقتربت الساعة: أخبرنا أبو جعفر قال: حدثنا علي بن أحمد قال: حدثنا عطاء بن الساعد عن أبي خالد الواسطي عن زيد بن علي عليه وعلى آبائه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر:١]، قال: فانشق القمر على عهد رسول الله

---

=

ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم، فيثبتون لعدوهم. وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين" (جامع البيان ١٣/٤٢٧).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٣/٤٢١-٤٢٧، وتفسير ابن أبي حاتم ٥/١٦٦٧.

(٢) تفسير غريب القرآن المجيد، المنسوب لزيد بن علي ، ص ٩٢

(٣) ينظر: مسند أحمد ١١/٥٣ (٦٥٠٧)، والجامع للترمذي٥/٢٢٦ (٣٢٤٤)، وجامع البيان للطبري ١١/٤٦٢.

(٤) مجاز القرآن لمعمر بن المثنى ١/١٩٦.

ﷺ حتى صار فرقتين والناس ينظرون، فقالت اليهود: سحر القمر، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ [القمر:١-٢]، والمستمر : الشديد، ويقال: شبه بعضه بعضاً، ويقال: الذاهب. وقوله تعالى﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾[القمر:٨]، معناه: مسرعين، ويقال: نازعين. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩﴾ [القمر:٩]، معناه: أسفر جنونه، ويقال :استظهر. والمزدجر: المنتهى والمتعظ. وقوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢﴾ [القمر:١٢]، معناه: ماء السماء والأرض. وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣﴾ [القمر:١٣]، فذات الألواح: السفينة، وألواحها: عوارضها، والدسر: المسامير، واحدها دَسار، ويقال: دسر معناه: يدسر السفينة الماء يصدرها، معناه: يدفعه. وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، معناه: بحفظنا. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ﴾ [القمر:١٥] معناه: إلقاء السفينة على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ۝١٩﴾ [القمر:١٩]، والصرصر: الشديدة ذات الصوت، والنحس: المشؤوم. وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠﴾ [القمر:٢٠]، معناه: المنقطع. وقوله تعالى: ﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾ [القمر:٢٥]، فالذكر: القرآن. وقوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ۝٢٧﴾ [القمر:٢٧]، معناه: انتظرهم واصطبر، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال. وقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾ [القمر:٢٨]، معناه: أخبرهم. وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ۝٢٨﴾ [القمر:٢٨]، والشرب: النصيب. وقوله تعالى: ﴿كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ۝٣١﴾ [القمر:٣١]، فالهشيم: ما انكسر من الشجر، والمحتظر: الحظيرة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا [القمر:٣٤]، معناه: حجارة. وقوله تعالى: ﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٤٣﴾ [القمر:٤٣]، وهي الكتب، واحدها زَبُور. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر:٤٦]، معناه أعظم)[1].

---

(١) تفسير غريب القرآن المجيد، المنسوب لزيد بن علي، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

**التعليق**

الذي يطلع على التفسير يظهر له أن هذا من صنع متأخر، فهذا الأسلوب لم يكن جارياً في عرف السلف، ولهذا شُنِّع على أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ) لما أخرج كتابه: (مجاز القرآن)، ولو كان هذا الكتاب موجوداً؛ لشُنِّع عليه مثلما فعل مع كتاب أبي عبيدة، وهذا مع أن أبا عبيدة زاد أشعار العرب فقط في كتابه.

وكما يظهر من هذا النموذج فبعض الأقوال التي نقلها صحيحة وبعضها فيها إشكال، وبعضها حكاية أقوال، وعموماً فالكتاب بهذه الصورة يثير شكّاً كبيراً في نسبته لزيد بن علي.

********

## المطلب الثاني: (كتب الوجوه والنظائر)

من الكتب المطبوعة لأتباع التابعين في الوجوه والنظائر: كتاب مقاتل بن سليمان (ت١٥٠: هـ)، وكتاب هارون الأعور (ت: ١٧٠هـ)، وكتاب يحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ) المسمى بـ (التصاريف).

والوجوه هي: (معاني اللفظ الواردة في القرآن)، أي: المعاني السياقية للفظ الوارد في القرآن. والنظائر هي: (الآيات المتوافقة في الوجه الواحد)[1].

ومن أمثلة ذلك في كتاب مقاتل قوله: (اللغو على ثلاثة أوجه؛ **الوجه الأول**: اللغو، يعنى اليمين الكاذبة في الدنيا، وهو يرى أنه فيها صادقٌ، فذلك قوله في البقرة: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥] يعني: اليمين الكاذبة إذا حلفَ عليها الإنسان في الدنيا وهو يرى أنه فيها صادق، فليس فيها كفارة ولا إثم، لأنه لم يتعمد الكذب. مثلها في سورة المائدة[2]. **الوجه الثاني**: اللغو، يعني: الباطل. فذلك قوله في المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون:٣]، يعني: عن الباطل معرضون. نظيرها في حم السجدة، حيث يقول: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت:٢٦]، يعني: تكلموا فيه بالباطل والشِّعر. **الوجه الثالث**: اللغو، يعني: الحِلْف عند شرب الخمر في الآخرة. فذلك قوله في مريم: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [مريم:٦٢] يعنى: الحلف عند شرب الخمر في الجنة، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمر. كقوله في الطور: ﴿يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝٢٣﴾ [الطور:٢٣]. يعنى: الحلف عند شرب الخمر)[3].

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار ٩١-٩٢.

(٢) الآية ٨٩: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾.

(٣) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان، ص: ١٨٠-١٨١.

## التعليق

يلاحظ من خلال هذا النص أن كتب الوجوه والنظائر تبتديء بذكر اللفظ الذي سيوردون له الوجوه، واللفظ الذي معنا في هذا النص هو: (اللغو)، وقد ذكر مقاتل لهذه اللفظة ثلاثة أوجه؛ الأول: اليمين الكاذبة. الثاني: الباطل. الثالث: الحِلْف عند شرب الخمر في الآخرة.

فالوجوه كما يلاحظ هي: المعاني السياقية للفظة الواردة في القرآن، وذلك لأننا عندما ننظر إلى لفظة اللغو في اللغة لا نجد لها إلا معنىً واحداً، وهو الشيء الباطل[(١)]، أما المقصود في الوجوه هنا فهو المعاني السياقية الواردة في القرآن.

والنظائر -كما يظهر في النص عند مقاتل- هي: (الآيات المتوافقة في وجه من الوجوه)[(٢)].

- **ملاحظات على كتب الوجوه والنظائر:**

١- أغلب كتب الوجوه والنظائر -ومن أشهرها كتاب مقاتل- لا تعنى بالتحليل اللغوي للفظة، وإنما ظهر الاعتناء بالمدلول اللغوي عند ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) في (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر)[(٣)].

٢- يلاحظ أن المعنى يستنبط من السياق عند أصحاب الوجوه، وإلَّا فإن المتأمل في الأوجه الثلاثة التي ذكرها مقاتل في لفظة: (اللغو) يجد أنه يجمعها شيءٌ واحدٌ، وهو الشيء الباطل، أو الشيء الذي لا قيمة له، ولذلك فسَّرت عائشة رضي

---

(١) انظر: العين للخليل بن أحمد ٤٩٤/٨، وتهذيب اللغة للأزهري ١٧٢/٨، ومقاييس اللغة لابن فارس ٢٥٥/٥، ومختار الصحاح للفيروزآبادي ٢٨٣/١.

(٢) لمزيد من الفائدة؛ ينظر: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٨٩-١٠٤.

(٣) من أمثلة ذلك عند ابن الجوزي: لفظة (البطش) ص: ١٨٧، و(البقية) ص: ٢٠٢، و(الصوم) ص: ٣٨٦.

الله عنها (اللغو) هنا بأنه قول الرجل: كلا والله، وبلى والله[1]، فهذه تعتبر من لغو اليمين، ومقاتل هنا أشار إلى نوع آخر من أنواع اللغو في اليمين، وهو أن يحلف الإنسان على شيء يرى أنه صادقٌ ولكنه يخطيء فيه، فهذا يدخل في اللغو أيضاً لأنه لا يحاسب عليه. **والمقصود: أن الوجوه تكثر بسبب النظر إلى السياق، ولو كان النظر إلى اللغة؛ لقلَّت هذه الأوجه.**

٣- يلاحظ أن ما كتبه هارون الأعور (ت: ١٧٠هـ)، هو نفس ما كتبه مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، ومعنى هذا أن المتأخر قد ينقل عن المتقدم بلا زيادة، وأحياناً يزيد، وهذا يدخل في دراسة كتب الوجوه والنظائر، وما ذكرته هنا فهو إشارة سريعة إلى هذه الكتب.

(١) انظر: جامع البيان للطبري ٤/٤٢٨ (٤٣٧٤).

# الفصل الثالث

# [[ تدوين التفسير في القرن الثالث ]]

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول**: كتب التفسير في القرن الثالث.
- **المبحث الثاني**: المرويات المجموعة في التفسير لأعلام القرن الثالث.

# المبحث الأول

# كتب التفسير في القرن الثالث

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ).
- **المطلب الثاني**: تفسير آدم بن أبي إياس (ت: ٢٢١هـ).

إن بتتبع أعلام المفسرين في القرن الثالث الهجري، نلاحظ أنه قد غلب الطابع النقلي على كتب التفسير عندهم، ولم يظهر أحد من أعلام أهل السنة يوصف بكونه مفسراً؛ بمعنى أنه قد استقلَّ بالتفسير، وهذا الموضوع يحتاج إلى بحث، وما سأذكره هنا ليس فَصْلاً في القضية.

ومن أمثلة ما دُوِّن في التفسير في هذا العصر: تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، وتفسير القرآن للفضل بن دكين (ت: ٢١٩هـ)، وتفسير أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت: ٢١٩هـ)، وتفسير آدم بن أبي إياس (ت: ٢٢١هـ)، وتفسير سنيد بن داوود -أو الحسين بن داوود- (ت: ٢٢٦هـ)، وتفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي (ت: ٢٢٩هـ)، وتفسير عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ)، وتفسير إسحاق بن راهويه (ت: ٢٨٣هـ)، وتفسير عثمان بن أبي شيبة (ت: ٢٣٩هـ)، وتفسير أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، وتفسير عبد بن حميد الكِشِّي (ت: ٢٤٩هـ)، وتفسير عبد الله الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، وتفسير الإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، وتفسير أبي سعيد الأشجّ (ت: ٢٥٧هـ)، وتفسير بقي بن مخلد (ت: ٢٧٦هـ).

وهؤلاء الأعلام لا تجد في كتب التفسير المتأخرة من ينقل قولاً لأحدهم في التفسير إلا نادراً؛ لأن الغالب على هذه الطبقة جمع الروايات.

ويلاحظ في هذه الفترة أيضاً أن علم التفسير أصبح باباً من أبواب كتب الحديث، فنجد مثلاً: سنن سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ) فيها كتاب التفسير، وصحيح البخاري (ت: ٢٥٦هـ) وسنن الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) كذلك.

وسنستعرض كيفية مجيء التفسير في كتب السنة، والطابع الذي يغلب عليها لاحقاً بإذن الله ﷻ.

وسنتناول كتابين من الكتب المطبوعة لأعلام هذه الفترة، وهما: (تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، وتفسير آدم بن أبي إياس).

## المطلب الأول: (تفسير عبد الرزاق الصنعاني) (ت: ٢١١هـ)

### التعريف بصاحب هذا التفسير:

هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاي، مولىً لحمير، روى عن أبيه وعن معمر بن راشد وعبد الله بن سعيد بن أبي هند وعبيد الله بن عمر، وغيرهم. رُمي بالتشيع لأنه كان يحب عيّاً ويبغض من قاتله.

من مؤلفاته: التفسير، والمصنَّف في الحديث، قال أحمد بن صالح: (قلت لأحمد بن حبل: رأيتَ أحداً أحسن حديثاً من عبد الرزاق؟ قال: لا)، وكانت وفاته باليمن سنة (٢١١هـ)[(١)].

### التعريف بهذا التفسير:

من التفاسير المطبوعة لأعلام السُنة في هذا العصر تفسير الإمام المحدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، وهذا الكتاب له ثلاث تحقيقات، آخرها تحقيق لأحد الأساتذة المصريين، لكنه سلك منهجاً عجباً في نقد منهج المؤلف وادَّعى عليه ادعاءات في المنهج، مع أن المؤلف ليس إلا ناقل، وهذه من الأخطاء التي تقع في افتعال القضايا العلمية أحياناً، فتجد المحقق مثلاً يتكلم عن موقف الإمام عبد الرزاق من القضايا اللغوية والبلاغية، مع أن الإمام ليس له موقف أصلاً، وعمله النقل فقط -كما أسلفت-.

ولو أردنا أن ندرس منهج الإمام عبد الرزاق؛ ندرسه من جانب ما اختاره من الروايات وغير ذلك مما له فيه عمل ورأي.

وقِس على هذا المثال كثيراً من القضايا التي افتعلها المحقق وناقش الإمام فيها، فتحقيقه للكتاب مع جودته إلا أن فيه هذا الإشكال.

---

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧٤/٦-، والمعارف لابن قتيبة ٥١٩/١، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١٩٧/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٥٦٣/٩-٥٨٠، وطبقات المفسرين للداودي ٣٠٢/١.

وهذا الكتاب كتاب رواية مجردة، ليس فيه تعليق على التفسير، بمعنى أنه يروي التفسير عن أشياخه عن المفسرين، وأغلب روايته من طريق مَعْمَر عن قتادة، وقد بلغت المرويات فيه عن قتادة (٦٥٦) رواية، حتى إن بعض من تكلم عن هذا التفسير زعم أنه تفسير قتادة، وهذا غير صحيح.

كما أنه اعتمد الرواية عن شيخه مَعْمَر، وقد بلغت مروياته عن معمر قرابة سبعمائة وسبعة وثلاثين (٧٣٧) روايةً، وعن سفيان الثوري قرابة (٢٢٢) رواية، وسفيان بن عيينة قرابة (١١٥) رواية، وهؤلاء الثلاثة من أشياخه الذين أكثر عنهم.

وهناك روايات عن الحسن، وقد ورد ذكر الحسن عنده قرابة (٢١٠) مرة، ومجاهد (١٨٨) مرة، وابن عباس (١٨٢) مرة، والكلبي (١٣٠) مرة، وعكرمة (١١١) مرة، وابن مسعود (٧٤) مرة، وطاووس (٥٨) مرة، وأغلب ما يحكيه عن هؤلاء قضايا تفسيرية، ولقتادة النصيب الأكبر عنده في الروايات.

ونجد في هذا التفسير أحياناً بعض الأحاديث النبوية المتعلقة بالآيات، وكذلك بعض التفسيرات النبوية، فهو يمثل -كما ذكرنا آنفاً- طريقة السلف في هذا الجيل؛ جيل ما بعد أتباع التابعين.

وبداية هذا الكتاب مفقودة، وابتدأ فيه بجمع القرآن، ثم ما جاء فيمن قال في القرآن برأيه، ثم نزول القرآن، ثم ابتدأ بسورة الفاتحة إلى أن ختم بسورة الناس.

ومن الأسئلة الواردة حول هذا التفسير: هل عبد الرزاق-رحمه الله تعالى-جمع كل ما بلغه من التفسير، أم أنه انتخب منها؟

**نقول**: المتوقع من سعة اطلاع عبد الرزاق على الروايات التفسيرية، والروايات الحديثية، أن يكون قد انتخب، ويمكن معرفة ذلك بمقارنة الروايات التفسيرية الواردة عنده في كتابه المصنَّف؛ فإن ورد عنه أشياء كثيرة غير التي جمعها في هذا التفسير؛ ففي هذا دلالة على أنه انتخب، لكن يبقى هذا السؤال بحاجة إلى بحث.

### نموذج من تفسير عبد الرزاق:

قال-رحمه الله-: (أرنا ابْنُ التَّيْمِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الصَّبَّاحُ، عَنِ الْأَشْرَسِ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ الْمَدِّ، فِي الْبَحْرِ وَالْجَزْرِ، فَقَالَ: إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِقَامُوسِ الْبَحْرِ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ؛

فَاضَتْ، وَإِذَا رَفَعَهَا؛ غَاضَتْ. عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور:٦]، قَالَ: الْمُمْتَلِئُ)[١].

**التعليق**

نلاحظ أنه أورد تفسيراً عن الكلبي، وهو متهمٌ بالكذب[٢] -كما هو معلوم-، وبعض المعاصرين ممن يعتني بدراسة الأسانيد يضعف مثل هذا الأثر[٣]، وهذا خطأ؛ لأن الكلبي هنا قائلٌ وليس راوياً، فالنظر يكون إلى صحة القول من عدمه، وليس إلى صدق الكلبي من كذبه لأنه ليس راوياً، ثم تأتي قضية أخرى في اعتبار القول من عدمه.

*****

ثم قال: (نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطور:٩]، قَالَ: مَوْرُهَا تَحَرُّكُهَا. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور:١٣] قَالَ: يُزْعَجُونَ إِلَيْهَا إِزْعَاجًا. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [الطور:٢١] قَالَ: بِإِيمَانِ الذُّرِّيَّةِ. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، وَقَرَأَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ يَقُولُ: وَمَا نَقَصْنَاهُمْ. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ يَقُولُ: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور:٢٣]، قَالَ: لَيْسَ فِيهَا لَغْوٌ وَلَا بَاطِلٌ، إِنَّمَا اللَّغْوُ

(١) تفسير عبد الرزاق ٣/٢٤٤.

(٢) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/٢٧٠ (١٤٧٨)، والمجروحين لابن حبان ٢/٢٥٣، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٤٧٩ (٥٩٠١)..

(٣) انظر: التحرير في أصول التفسير، للدكتور: مساعد الطيار ١٢٣-١٣٠.

وَالْبَاطِلُ فِي الدُّنْيَا. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور:٢٤]، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَدَمُ مِثْلُ اللُّؤْلُؤِ فَكَيْفَ الْمَخْدُومُ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَهُمْ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى النُّجُومِ. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور:٣٠]، قَالَ: هُوَ الْمَوْتُ، يَتَرَبَّصُ بِهِ الْمَوْتَ، كَمَا مَاتَ شَاعِرُ بَنِي فُلَانٍ، وَشَاعِرُ بَنِي فُلَانٍ. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ أَبِي كَرْمَةَ، -أَوْ غَيْرِهِ- عَنْ زَاذَانَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور:٤٧]، قَالَ: عَذَابُ الْقَبْرِ. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قَالَ: الْجُوعُ لِقُرَيْشٍ فِي الدُّنْيَا. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ فِي الْقُرْآنِ ثُمَّ تَلَا: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أرنا الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور:٤٨]، قال: سبحان الله وبحمده. عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ [الطور:٤٨]، حِينَ تَقُومُ لِلصَّلَاةِ، تَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ نا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور:٤٩]، قَالَ: رَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ)(١).

## التعليق

يلاحظ في هذا التفسير تعدد شيوخ مصنِّفه، وإن كان الأكثر فيهم معمر، ويلاحظ أيضاً أن أكثر من روى عنهم قتادة.

*******

(١) تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٣/٢٤٤-٢٤٧.

## المطلب الثاني: (تفسير آدم بن أبي إياس) (ت: ٢٢١هـ)

### التعريف بصاحب هذا التفسير:

هو: الإمام، الحافظ، القدوة، شيخ الشام، آدم بن أبي إياس العسقلاني، أبو الحسن، أصله من خراسان، نشأ ببغداد وسمع بها الكثير وجاء إليها لطلب الحديث، وكان محدثاً مفسراً، من أفاضل علماء الحنفية.

روى عنه البخاري في صحيحه، قال أبو حاتم الرازي: (هو ثقة مأمون متعبد من خيار عباد الله)، ولد سنة (١٣٢هـ)، وكانت وفاته بعسقلان سنة (٢٢١هـ)[(١)].

### التعريف بهذا التفسير:

طُبع هذا التفسير باسم: (تفسير مجاهد)، كما ذكر ذلك الأستاذ الدكتور: حكمت بشير ياسين، في استدراكاته على القسم المتعلق بالتفسير وعلوم القرآن من كتاب (تاريخ التراث العربي)[(٢)] للدكتور: فؤاد سيزكين.

وذلك لأن الإسناد يدور علي آدم بن أبي إياس، ويروي كذلك عن مجاهد وغيره، وهذا يحكي لنا بالفعل نفس المرحلة في هذا العصر، وهي مرحلة النقل، فإنك لا تكاد تجد قولاً لآدم بن أبي إياس، بل كله مروي عن مفسري السلف، كما في تفسير عبدالرزاق، فإن أغلبه مروي عن قتادة، فكذلك تفسير آدم بن أبي إياس أغلبه عن مجاهد، ولذلك نسب التفسير إليه.

ونجد في هذا التفسير روايات لجمع من السلف كابن عباس ﷺ، والحسن البصري وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٤٠/٧، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٦٨/٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٣٥/١٠-٣٣٨، وطبقات المفسرين للأدنه وي، ص: ٣٢.

(٢) ١٠٤/٢.

هذا التفسير لم يشمل جميع القرآن، بخلاف تفسير عبد الرزاق، فإنه قد شمل جميع القرآن، وإن لم يشمل جميع الآيات.

ويلاحظ أن السند يتكرر في كل أثر من الآثار المذكورة في الكتاب، أو يذكر السند الذي روى به من غير طريق مجاهد، لأن الغالب عنده (أنبأنا عبد الرحمن، حدثنا إبراهيم، حدثنا آدم، أنبأنا ورقاء، عن أبي نجيح، عن مجاهد).

ومثله أيضاً في تكرار الأسانيد عند الآثار تفسير عبد الرزاق، وذلك لأنهما كتابا رواية.

## نموذج من تفسير آدم بن أبي إياس:

قال: ((أَنا عبد الرحمن، ثنا إبراهيم، ن آدم، ثنا ورقاءُ عن ابن أَبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ [القصص:٢٢]، قال: يعني الطريق إلى مدين. أَنا عبد الرحمن، ن إبراهيم، ن آدم، ثنا إِسرائيل عن أَبي اسحق الهمذاني، عن عمرو بن ميمون الأَزدي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ قال: إن موسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ [القصص:٢٣] فلما فرغوا أَعادوا الصخرة على البئر، وكان لا يطيق رفعها عن البئر إلا عشرة رجال. وإذا هو بـــ ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾. فقال لهما: ﴿مَا خَطۡبُكُمَا﴾ فقالتا: لا نقدر على أَن ﴿نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾. فرفع موسى عليه السلام الحجر وحده، فلم يستق إلا دلواً واحداً حتى رويت الغنم. ثم انطلق إلى الظل ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص:٢٤]. فرجعت المرأتان إلى أَبيهما فحدثتا بما كان. ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص:٢٥] يعني واضعة ثوبها على وجهها، ليست بخرَّاجة ولا ولَّاجة. فقالت له: ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ فقال لها موسى عليه السلام: امشي خلفي وصفي لي الطريق، فإني أَخاف أَن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك. فلما انتهت إلى أَبيها قالت له: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص:٢٦]

فقال لها أَبوها: وما علمك بقوَّته وأَمانته؟ فقالت: أَما قوَّته فإِنه رفع الحجر وحده، ولا يطيق رفعه إِلا عشرة. وأما أمانته فقوله: امشي خلفي وصفي لي الطريق، لا تصف لي الريح جسدك. أَنا عبد الرحمن، ن إِبراهيم، ثنا آدم، ثنا ورقاءُ، عن ابن أَبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص:٢٤]. قال: شيء من طعامٍ. أنا عبد الرحمن، ن إبراهيم، ن آدم، ن أَبان العطار، عن أَبي عمران الجوني قال: قال: جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: إن سألوك أي الأَجلين قضى موسى؟ فقل: أَفضلهما وأَكرمهما. وإِن سأَلوك: أَي الجاريتين تزوج موسى؟ فقل: أصغرهما، وكان اسمها صفوريا. أَنا عبد الرحمن، ثنا إِبراهيم، ن آدم، ثنا حبان، عن سعد بن طريف، عن مقسم أَبي عبد الرحمن قال: قلت للحسين بن علي: أي الأَجلين قضى موسى؟ قال: أكثرهما. قلت: فما كان اسم امرأَته؟ قال: بلاقيس. أَنا عبد الرحمن، ثنا إِبراهيم، ن آدم، ن ورقاء، عن ابن أَبي نجيح، عن مجاهد قال: أما قوله: ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ فإِنه أنحى لهما الحجر عن البئر فسقى لهما. وأما أمانته، فغض طرفه عنهما، حتى سقى لهما فصدرتا))[1].

### التعليق

من خلال هذه الروايات يظهر أن آدم بن أبي إياس يروي عن مجاهد وعن غيره، لكن الأغلب عن مجاهد.

ويلاحظ أنه كتاب رواية، يورد الآثار عن السلف كما هي، فنجده هنا نقل من مرويات بني إسرائيل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك عن الحسن بن علي رضي الله عنه لما ذكر اسم المرأة، وكذلك عن مجاهد، ويسير على هذا المنوال حتى نهاية الكتاب.

(١) ١/٥٢٦-٥٢٧.

## المبحث الثاني

## المرويات المجموعة في التفسير لأعلام القرن الثالث

وفيه مطلب واحد:

- مرويات الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) في التفسير، جمع الدكتور: حكمت بشير يس.

### مرويات الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) في التفسير، جمع الدكتور: حكمت بشير يس

جمع بعض الباحثين روايات تفسيرية لأعلام هذا العصر، سنتناول منها -بمشيئة الله ﷻ- مرويات الإمام أحمد كمثال لهذا العصر.

جمع الأستاذ الدكتور: حكمت بشير ياسين -بالمشاركة مع بعض الباحثين[(١)]- مرويات الإمام أحمد، وقد اشتمل هذا الجمع على ما يلي:

أ- الأقوال الخاصة بالإمام أحمد في التفسير.

ب- بعض ما رواه الإمام أحمد عن السلف في التفسير.

ج-كل ما يتعلق بالآية من الأحاديث النبوية والآثار التي رواها الإمام أحمد.

وفي هذه النقطة الأخيرة -خاصةً- إشكال في نسبته إلى الإمام أحمد، لأن هذا يعتبر من عمل جامِع تفسيره، ولا تصح نسبته للإمام أحمد، وأمَّا ما رُوي عن الإمام صراحةً في التفسير فقليل جداً، ولو اقتصر الجامِع عليه؛ لكان كافياً ومفيداً.

---

(١) جمع هذا التفسير كل من: الدكتور: محمد بن رزق بن طرهوني، والدكتور: عبد الغفور عبد الحق البلوشي، والدكتور: حكمت بشير ياسين.

# الفصل الرابع

## [[ تدوين التفسير في القرن الرابع ]]

وفيه ثلاثة مباحث:-

- **المبحث الأول**: كتب التفسير في القرن الرابع.
- **المبحث الثاني**: الكتب المشاركة للتفسير في القرن الرابع.
- **المبحث الثالث**: كتب السنة التي تضمنت كتاباً في التفسير في القرن الرابع.

# المبحث الأول
## كتب التفسير في القرن الرابع

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ).
- **المطلب الثاني**: (تأويلات أهل السنة) للماتريدي (ت: ٣٣٣هـ).
- **المطلب الثالث**: (بحر العلوم) للسمرقندي (ت: ٣٧٣هـ).

## المطلب الأول: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)[١]

### التعريف بصاحب هذا التفسير:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الائمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم.

أصله من آمل طبرستان، له تصانيف عظيمة منها: تفسير القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، وتاريخ الأمم، وكتاب اختلاف العلماء، وكتاب القراءات، وكتاب أحكام شرائع الإسلام.

قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني -شيخ الشافعية-: (لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير؛ لم يكن كثيراً). ولد سنة (٢٢٤هـ)، وكانت وفاته سنة (٣١٠هـ)[٢].

### التعريف بهذا التفسير:

يعتبر تفسير الإمام الطبري أعظم كتاب في التفسير، وفضلًا عن كون مؤلفه من أهل السنة والجماعة، فإنه مفسِّرٌ ناقدٌ، ويحسن لمن أراد تعلم طريقة التعامل مع المرويات التفسيرية أن يدمن القراءة في هذا التفسير.

---

(١) لمزيد من التعرف على تفسير الطبري ومنهجه في تفسيره؛ ينظر: المقالات التالية من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار:
١- (ملخص في منهج ابن جرير الطبري) ١/٤٢٣-٤٢٧.
٢- (مفهوم النسخ عند ابن جرير) ١/٤٥٢-٤٦٢.
٣- (من منهج الطبري في الإسرائيليات) ٢/١٧٨-١٥٨.

(٢) انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ٦/٢٤٤١-٢٤٦٩، ومعجم الأدباء لياقوت ١٨/٤٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/٢٦٧-٢٨٢، وطبقات المفسرين للسيوطي ص: ٩٥-٩٧.

## (استعراض مقدمة الطبري لتفسيره)[1]

قدَّم الطبري –رحمه الله تعالى– لتفسيره بمقدمةٍ علميةٍ تعتبر من أكبر مقدمات كتب التفسير، حشد فيها جملة من مسائل علوم القرآن، منها:

١–اللغة التي نزل بها القرآن.

٢–الأحرف السبعة.

٣–ما يسمى بـ: (المعرَّب).

٤–طُرُق التفسير، وعنون لها بقوله: (القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن).

٥– تأويل القرآن بالرأي.

٦–ذكر من تُرضى روايتهم، ومن لا تُرضى في التفسير من مفسري السلف.

٧–القول في تأويل أسماء القرآن، وسوره وآيه.

ثم القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب، ثم القول في الاستعاذة، ثم القول في البسملة، ثم بدأ بالفاتحة إلى أن ختم بالناس.

وقد طرح الإمام الطبري –رحمه الله تعالى– آراءه في هذه المقدمة في هذه المسائل التي ذكرها.

فمثلًا: في الأحرف السبعة يرى أن القرآن الموجود بين أيدينا بقراءاته إنما هو على حرفٍ واحدٍ، وأن عثمان ﷺ قد جمع الناس على حرفٍ واحدٍ.

وهذا الرأي له في الأحرف السبعة مخالِفٌ لما حرَّره غيره من المحققين، وليس هذا مجال تحرير هذه المسألة، لكننا نشير إلى رأيه فقط.

وفي المعرَّب يرى أنه مما يقال فيه: (اتفاق اللغات)، وذلك لأنه يعكس القضية، وبيان ذلك أنه يقال مثلاً: لفظة (المشكاة) بلغة الحبشة، و(الفردوس) بلغة فارس، أما الإمام الطبري فينظر نظرة تاريخية، فيرى أنه لا يستطيع أحدٌ إثبات أن العرب أخذوا هذه الكلمة عن فارس، ولا إثبات أن فارس أخذوها عن العرب.

---

(١) طُبع شرح مقدمة تفسير الطبري، للدكتور: مساعد الطيار، بمركز تفسير للدراسات القرآنية.

فإذا قال قائل: إن العرب أخذوا من فارس؛ فإن الطبري يعكس عليه القضية، فيقول: ما المانع في أن يكون فارس أخذوها من العرب؟! ولذا يرى أنها من باب اتفاق اللغات.

وذكر أن لو اعترض عليه أحد بأن السلف قد ورد عنهم النصّ على أن لفظة كذا بلغة الحبشة، ولفظة كذا بلغة فارس .. إلى آخر الأقوال الواردة عن السلف في هذا، فيقول الطبري بأن مراد السلف فيها: **التنبيه على أن هذه اللفظة الواردة عند العرب واردة عند هؤلاء الأقوام، وليس مرادهم أن هذه اللفظة غير عربية،** ففي النهاية يرى أنها من اتفاق اللغات.

وأما الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن فجعلها ثلاث طرق:

١-**الطريق الأول:** ما لا سبيل إلى العلم به، وهذا مما يختص به الله ﷻ، وهي المغيَّبات، وكيفياتها، ومقادير الأشياء.

٢-**الطريق الثاني:** ما يكون علمه من جهة الرسول ﷺ؛ لأنه هو المبيّن للقرآن.

٣-**الطريق الثالث:** ما يعلمه كل عالمٍ بلسان العرب، ولكنه وضع ضابطًا في هذا، وهو: أنه يقبل قول كل عالمٍ بلسان العرب بشرط ألا يخرج عن أقوال السلف، وقد طبَّق هذا المنهج في تفسيره؛ فنادرًا ما يخرج عن أقوال السلف، بل يختار من أقاويلهم ويعترض على اللغويين الذين يقولون بأقوال لا توافق أقوال السلف، وإن كانت الآية تحتمل هذه الأقوال.

**(طريقة الطبري في ترتيب تفسيره)**

- **أولاً:** يجزئ الآية التي يريد تفسيرها، فمثلًا: قول الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة:٢]، نجده يفسر: (الحمد لله)، ثم يفسر (رب)، ثم يفسر (العالمين).
- **ثانياً:** إذا لم يكن لديه أقوال للسلف في المقطع الذي يفسره فإنه يكتفي بذكر المعنى الجُمْلي للمقطع، أما إذا كان لأهل التأويل من الصحابة ﷺ ومن بعدهم قولٌ في المقطع الذي يفسره، فله طريقتان في عرض المعنى الإجمالي مع كلام السلف:

- **الطريقة الأولى**: إذا لم يكن بين أهل التأويل خلافٌ؛ فإنه يذكر المعنى الإجمالي، ثم يقول: (وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)[1]، ثم يذكر أقوالهم واحدًا تلو الآخر حسب ما عنده من الروايات، وقد لا يكون عنده إلا رواية واحدة، فيقول ذلك أيضاً – كما سيأتي مثال ذلك–.
- **الطريقة الثانية**: إذا كان بين أهل التأويل خلافٌ؛ فإنه يذكر اختياره، ثم يذكر من وافقه من أهل التأويل بقوله: (وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل)[2]، ويذكر من وافقه من هؤلاء المفسرين، ثم بعد ذلك يذكر أقوال المخالفين.

وينص أحياناً على الخلاف مباشرة فيقول: (اختلف أهل التأويل)[3]، ثم يقول: (فقال بعضهم: كذا وكذا، وقال آخرون: كذا وكذا)، ثم يرجح ويبين المعنى الجملي للآية في ترجيحه.

**والمقصود** أن الطبري –رحمه الله–كان له عناية بالمعنى الجُمْلي للآية، فيمكن استخراج تفسيرٍ جمليٍّ متكامل لاختيارات الطبري في تفسيره بعباراته.

والذي يُشكل في المعنى الجُمْلي عند الطبري وفي اختياراته هو: أسلوبه المتين، وعباراته القوية، مما يجعل الإنسان أحياناً يحتاج إلى تكرار قراءة العبارة حتى يظهر له مراد الطبري.

ومما يشكل كذلك في تفسيره –رحمه الله– أنه يفكِّك الضمائر، فيكثر منها بعودها على ما سبق، فيحتاج القراءة في كتابه إلى تأنٍّ.

**ولهذا أقول**: ينبغي على طالب العلم حينما يقرأ كلام الطبري أن لا يتعجل في الاعتراض عليه، ليس ذلك لأن الطبري معصوم، ولكن أحيانًا قد لا يُفهَم ما أراده،

(١) ينظر من أمثلة ذلك في كتابه: ٢/٢٨٤، و٢٣/٥٢٨، وغير ذلك.

(٢) ينظر من أمثلة ذلك في كتابه: ٦/١٤٠، و١٦/٤٠٧، وغير ذلك.

(٣) ينظر من أمثلة ذلك في كتابه: ١/٢٣٧، و١٨/٦٧٩، وغير ذلك.

وأحيانًا قد لا يُنتَبه إلى المنهجية التي يسلكها الطبري، فيعترض طالب العلم عليه وهو لا يدري عن منهجه.

وقد انتبه إلى ذلك محقق الكتاب الشيخ محمود شاكر-رحمه الله تعالى-، فذكر أن اعتراضات بعض العلماء على الطبري كان سببها أنهم لم يفهموا مراد الطبري(١)، ولهذا نجد أحياناً اعتراضات من ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، بعض صائب، وبعضها لم يوفق فيها إلى الصواب؛ لأنه لم يفهم مراد الطبري في سياقه للكلام.

فيجب أن ننتبه إلى أن القضية العلمية تخضع إلى النقد العلمي، فإذا اعترض الإنسان بعلم وكان اعتراضه صحيحًا فإنه يقبل منه، كائنًا من كان؛ لأننا نتبع الحق ولا نتبع الرجال، ونعرف أنه ليس هناك معصوم إلا الرسول ﷺ، وكل يؤخذ من قوله ويرد، لكن يكون الاعتراض بعلم، وأيضًا يجب أن يتَّسِم طالب العلم في اعتراضه بالأدب مع هؤلاء الأعلام.

- **ثالثاً**: يسند كل قول إلى قائله، ولهذا امتلأ الكتاب بالأسانيد، وقد عدَّ الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) -رحمه الله تعالى- هذا عيباً من عيوب تفسير الإمام الطبري، ولكنه -رحمه الله تعالى- لم يصب في ذلك، ولذا انتُقد الثعلبي بأنه حذف الإسناد.

وإيراد الطبري للأسانيد يعد ميزة في كتابه، ويمكن أن يقال أنه لو اختصر في ذكر الأسانيد بطريقة ما؛ لكان أجود، بدلاً من التكرار.

ولكن طريقته التي اتبعها في ذكر الأسانيد لا تعد عيباً عند التحقيق، بل ميزة كبيرة في كونه لديه هذه المقدرة على إيراد هذه الأسانيد وإملائها على طلابه.

ويمكن لطالب العلم أن يمر سريعاً على السند ويقصد مباشرة إلى القول المراد، وينظر في الإسناد عند الحاجة إليه.

- إذا انتهى من عرض الأقوال التي يكون فيها اختلاف فإنه في الغالب يرجح بينها،

---

(١) يقول الشيخ محمود شاكر-رحمه الله-: (وقد رأيتُ في أثناء مراجعاتي أنّ كثيرًا ممن نقل عن الطبري، ربّما أخطأ في فهم مُرَاد الطبري، فاعترض عليه، لما استغلقَ عليه بعضُ عبارته). مقدمة تحقيق تفسير الطبري ١/١٥.

فغالب تفسيره قائمٌ على الترجيح، وحينما يرجح؛ يذكر حجته أو علته في الترجيح غالباً، وهذا بلا شك يفيد من يقرأ في تفسير الطبري، ولذا يقول أبو محمد الفرغاني: (ثمَّ من كتب محمد بن جرير كتاب التفسير الذي لو ادَّعى عالم أن يصنِّف منه عشرة كتب، كلَّ كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقل؛ لفعل)[1].

**ونقول**: بل لو شاء أحدٌ أن يخرج ضِعْف هذا؛ لاستطاع، فكتاب الطبري مليءٌ ومحشوٌ بالعلم، فمثلًا: لو دُرست علل الطبري في ترجيحاته؛ لأخرجت لنا كتابًا مستقلًا ومفيدًا في هذه العلل، إلى غير ذلك من الموضوعات المهمة.

وغالبًا يصدِّر عبارته حين الترجيح بقوله: (والقول الذي هو عندي أولى بالصواب قول من قال)[2] ثم يورد القول الذي يرجحه، ثم بعد ذلك يذكر علته الترجيحية.

وغالبًا ما يكثر في هذه العلل أسلوب القواعد العلمية فيقول مثلًا: (وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس، أولى من توجيهها إلى الخفي القليل في الاستعمال"[3].

ولو جمع باحثٌ القواعدَ الترجيحية التي نصَّ عليها الطبري فإنه سيجد شيئًا كثيرًا، فمن خلال المجلد الأول والمجلد الثاني فقط، جمعت قرابة ثلاثين قاعدة ترجيحية.

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩٦/٥٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤.

(٢) ينظر من أمثلة ذلك في كتابه: ١٩٩/١، و٤٢٧/١٧، وغير ذلك.

(٣) جامع البيان للطبري ٣٠٩/٦، وينظر أمثلة أخرى لذلك: ٣٢٢/١٢، و٣٢١/١٥، وغيرها.

## (مصادر الطبري في تفسيره)[1]

إن مصادر الإمام الطبري -رحمه الله تعالى-، في تفسيره متنوعةٌ؛ فمنها:

١- **تفاسير السلف المروية:** فيروي التفسير عن طبقات السلف الثلاثة؛ الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وأتباع التابعين، وكما ذكرت سابقاً، فإن الطبقات التي تلتْ أتباع التابعين قد قلَّ فيها الرأي التفسير، ولذلك فإن أغلب المروي عنده مأخوذة عن هذه الطبقة التي تلي أتباع التابعين، فهم يروون التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وأتباع التابعين.

٢- **القراءات:** وخصوصًا كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، وينقل عن القراء السبعة المعروفين وعن غيرهم.

٣- **مصادر لغوية ونحوية:** وخصوصًا كتب معاني القرآن، نحو: (معاني القرآن) للأخفش (ت: ٢١٥هـ)، و(معاني القرآن) للفراء (ت: ٢٠٧هـ)، وكذلك (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثني (ت: ٢٠٩هـ)، وينقل من غيرها أيضاً، وأغلب نقله عن اللغويين الذين في طبقة أتباع التابعين.

## (منهج الطبري في التعامل مع تفسير السلف)

- **أولاً:** يحرص على إيراد جميع المروي عن السلف، حتى وإن كان كثيراً، فلو أن لديه ثلاثين رواية (٣٠) في معنى آية؛ فإنه يذكرها جميعاً بأسانيدها.

وأحياناً يكرر الرواية عن شخص واحد، والعبارة واحدة، فقد يورد مثلاً أربع طرق عن مجاهد كلها بنفس الإسناد، وأحيانًا يورد إسناد ابن أبي نجيح عن مجاهد أكثر من مرة؛ لأنها

---

(١) يقول الدكتور: مساعد الطيار: (إن دراسة موارد المؤلفين في التفسير من الأمور المهمة، التي لم تلق عناية حتى الآن، وهي تصلح لأن تكون رسائل علمية، فاختلاف الموارد يؤدي إلى اختلاف المادة العلمية في الكتاب، وهذا لا يعرف إلا بدراسة موارد كتب التفسير دراسة استقرائية) ا.هـ. من محاضرة بعنوان: (المنهجية العلمية لدراسة علم التفسير)، ألقاها الدكتور: مساعد -عبر شبكة الإنترنت- لطالبات معهد (ابن كثير لإعداد معلمات القرآن الكريم) بالدمام، يوم السبت، الموافق ١٤٣٨/٤/٣٠هـ، وهي محاضرة غير مسجلة ولا متاحة على شبكة الإنترنت.

رويت عن ابن أبي نجيح من أكثر من طريق، وذلك لأنه كان إماماً صاحب إسناد.

ومن أمثلة ذلك عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾ [المائدة:٩٥]، ذكر التفسير الجملي، فقال: (القول في تأويل قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ﴾ [المائدة:٩٥]، قال أبو جعفر: يقول جل من قائل لعباده المؤمنين به وبرسوله ﷺ: عفا الله أيها المؤمنون عما سلف منكم في جاهليتكم، من إصابتكم الصيد وأنتم حرم، وقتلكموه، فلا يؤاخذكم بما كان منكم في ذلك قبل تحريمه إياه عليكم، ولا يلزمكم له كفارة في مال ولا نفس. ولكن من عاد منكم لقتله وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذي كان يقتله في حال كفره، وقبل تحريمه عليه، من استحلاله قتله، فينتقم الله منه)[1]ا.هـ. وهذه أحد العبارات التي فيها صعوبة وغموض.

ثم قال: (وقد يحتمل أن يكون معناه: من عاد لقتله بعد تحريمه في الإسلام، فينتقم الله منه في الآخرة. فأما في الدنيا، فإن عليه من الجزاء والكفارة فيها ما بيَّنت. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه)[2]، ثم ذكر من قال ذلك، ومنهم عطاء بن أبي رباح، ثم كرر الرواية مرة أخرى عن عطاء، فقال: (حدثنا هناد قال: حدثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء)[3]، والرواية الثانية عن عطاء قال: (حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قلت لعطاء)[4]، وهي نفس الرواية، فكرر الإسناد.

ثم أورد رواية أخرى عن ابن جريج –نفس الرواية– فقال: (حدثنا سفيان، قال: حدثنا محمد بن بكر وأبو خالد، عن ابن جريج، عن عطاء)[5]، ثم كرر الرواية الأخرى عن عطاء، وذكر رواية أخرى عن عطاء بنفس الطريق –طريق ابن جريج–.

---

(١) جامع البيان للطبري ٤٨/١٠.

(٢) جامع البيان للطبري ٤٨/١٠.

(٣) جامع البيان للطبري ٤٨/١٠ (١٢٦٣٦).

(٤) جامع البيان للطبري ٤٨/١٠ (١٢٦٣٧).

(٥) جامع البيان للطبري ٤٨/١٠ (١٢٦٣٨).

ثم ذكر عن مجاهد وهو المفسر الثاني، ثم ذكر عن إبراهيم النخعي، ثم ذكر مرة أخرى ابن أبي نجيح عن عطاء، فالأول ابن جريج والثاني: ابن أبي نجيح.

ثم ذكر عن سعيد بن جبير، وكرر الإسناد إلى سعيد، ثم ذكر أيضًا عن عطاء من رواية عبد الكريم وهي رواية ثالثة عن عطاء، هذا كله في القول الأول الذي اختاره، فكرر الأسانيد والطرق.

ثم قال: (وقال آخرون: معنى ذلك: عفا الله عما سلف منكم في ذلك في الجاهلية، ومن عاد في الإسلام فينتقم الله منه، بإلزامه الكفارة)[1]، ثم بدأ يذكر عن سعيد بن جبير وعطاء، فقال: (وقال آخرون في ذلك: عفا الله عما سلف من قتل من قتل منكم الصيد حراماً في أول مرة. ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراماً، فالله ولي الانتقام منه، دون كفارة تلزمه لقتله إياه)[2]، أي: أن الإنسان إذا قتل أول مرة وهو حرم فليس عليه شيء، وإذا قتل مرة أخرى فإن الله ينتقم منه، وليس عليه كفارة، إنما ينتقم الله ﷻ منه.

ثم ذكر الرواية عن ابن عباس وأعادها مرة أخرى عن ابن عباس، ثم رواية عن شريح، ثم رواية عن إبراهيم، ثم رواية مرة أخرى أيضًا عن إبراهيم، ثم رواية عن الشعبي: (أن رجلًا أتى شريحًا..)، إلى أن أورد كل هذه الروايات رواية بعد رواية، فقال: (وقال آخرون: معنى ذلك: عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذكره ذلك عليكم. ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه، عالماً بتحريمه ذلك عليه، عامِداً لقتله، ذاكراً لإحرامه، فإن الله هو المنتقم منه، ولا كفارة لذنبه ذلك، ولا جزاء يلزمه له في الدنيا)[3]، ثم ذكر هذه الرواية عن ابن زيد وقال: إنها شبيهة بقول مجاهد الذي ذكره قبل، ثم قال -وهو قول خامس-: (وقال آخرون: عني بذلك شخص بعينه)[4]، وأورد الرواية عن زيد أبي المعلا، ثم قال: (قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا، قول من قال: معناه: ومن عاد في الإسلام

---

(١) جامع البيان للطبري ١٠/٥٠.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/٥٠.

(٣) جامع البيان للطبري ١٠/٥٣.

(٤) جامع البيان للطبري ١٠/٥٤.

لقتله بعد نهي الله -تعالى ذكره- عنه، فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفارة)[١]، ثم بدأ يحتج لهذا القول وأطال فيه، ويرد على الأقوال الأخرى، ويذكر أيضًا علته في الترجيح.

**ثانياً**: إذا لم يبلغه في التفسير إلا قول واحد عن السلف فإنه يعتمد عليه في التفسير، وقد يحتج به على قول اللغويين، ومن أمثلة ذلك تفسيره لقوله ﷻ: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ **[المائدة:٩٥]**، قال: (وأصل الوبال: الشِّدة في المكروه، ومنه قول الله ﷻ: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ **[المزمل:١٦]**، وقد بيَّن -تعالى ذكره- بقوله: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ **[المائدة:٩٥]**، أن الكفارات اللازمة الأموال والأبدان، عقوبات منه لخلقه، وإن كانت تمحيصاً لهم، وكفارة لذنوبهم التي كفروها بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن مفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي: أما: ﴿وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾، فعقوبة أمره)[٢].

فاحتج فقط برواية السدي لمعنى الوبال، ولم يذكر غيره، ولو كان عنده غير هذه الرواية؛ لذكرها.

ومن ذلك يتضح اعتماده قولَ الواحد من السلف، سواء كان من الصحابة رضي الله عنهم، أو من التابعين، أو من أتباع التابعين، والسدي يعتبر في طبقة أتباع التابعين[٣]،-وإن قيل: إنه رأى أنس بن مالك[٤].

**ثالثاً**: ليس له ترتيب في ذكر المرويات، ففي النص السابق مثلاً ذكر روايات عن عطاء، ثم ذكر عن سعيد بن جبير، ثم رجع وذكر عن عطاء، فليس له ترتيب في المرويات، فلا يقدم مثلاً قول الصحابي ثم التابعي ثم تابع التابعي، لكن يلاحظ أنه في الغالب يؤخر قول السدي

---

(١) جامع البيان ٥٤/١٠.

(٢) جامع البيان للطبري ٤٧/١٠.

(٣) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨٦/٨، والمجروحين لابن حبان ٢٨٦/٢، وتقريب التهذيب لابن حجر ص: ٥٠٦ (٦٢٨٤).

(٤) قلت: السدي هنا لم يذكر أحد أنه رأى أنس بن مالك، وقد تتبعت كتب التراجم فلم أجد فيها أحداً يقول ذلك، وأما السدي الذي يروي عن أنس فهو ابن أخت الأول، وقيل نسيبه.

وقول ابن زيد فيكونا آخر ما يرويه عن السلف.

- **رابعاً**: إذا ورد عن السلف أكثر من قول فإنه يرجح، وأحيانًا يقبل الأقوال كلها إذا كانت تحتمل الصحة، ففي قوله ﷻ: ﴿لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[التوبة:٨]، ذكر فيه عن السلف ثلاثة أقوال، وأجازها جميعاً لاحتمالها وعدم تناقضها[١].

ويعبر عن ذلك أحياناً بقوله: (وجائز أن يكون كذا)[٢]، بمعنى: أنها كلها في مرتبة واحدة من الاحتمال في النص القرآني.

- **خامساً**: إذا كان تفسير السلف على المثال؛ فإنه ينص دائماً على العموم في ترجيحه، وقد يشير أحيانًا إلى جواز أن يكون أحد هذه الأمثلة مراداً، أو يشير إلى دخولها كلها في العموم.

ففي قوله ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الأنعام:٣٨]، ذكر الأقوال الواردة في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾، فقال: (وأما قوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في معنى حشرهم الذي عناه الله–تعالى ذكره–في هذا الموضع، فقال بعضهم: حشرها: موتها)، ثم ذكر الرواية فقال: وقال آخرون: الحشر في هذا الموضع يعني به: الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة)، ثم ذكر الرواية عن بعض السلف، ثم قال: (قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله–تعالى ذكره–أخبر أن كل دابة وطائر محشور إليه، وجائزٌ أن يكون معنيّاً بذلك حشر القيامة، وجائزٌ أن يكون معنيّاً به حشر الموت، وجائزٌ أن يكون معنيّاً به الحشران جميعاً، ولا دلالة في ظاهر التنزيل، ولا في خبر عن النبي ﷺ أي ذلك المراد بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾؛ إذ كان الحشر في كلام العرب: الجمع، ومن ذلك قول الله –تعالى ذكره–: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص:١٩]، يعني: مجموعة. فإذ كان الجمع هو الحشر، وكان الله –تعالى ذكره– جامعاً خلقه

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٤/١٤٦-١٤٩.

(٢) ينظر أمثلة لذلك في تفسيره: ٢/٨٩، و١٣/٥٣٤، وغير ذلك.

إليه يوم القيامة، وجامعهم بالموت؛ كان أصوب القول في ذلك أن يعُمَّ بمعنى الآية ما عمَّه الله بظاهرها، وأن يقال: كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة؛ إذ كان الله -تعالى ذكره- قد عمَّ بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾، ولم يخصِّص به حشراً دون حشر)[1].

ويلاحظ هنا طريقته في سَبْك العبارات، وطريقته في سَبْك القواعد العلمية، ففي مثل هذا الخلاف يبقى الخبر على عمومه حتى يأتي ما يخصصه، فنبهنا هنا على أن ما ذكره السلف في تفسير الآية كله محتمل، وأنه جائز أن يراد هذا، وجائز أن يراد هذا، وأن العموم في مثل هذا أولى.

- **سادساً**: إذا كانت عبارات السلف متقاربة الألفاظ فإنه ينبه على هذا التقارب أحيانًا، فيقول: (وإن اختلفت ألفاظهم فإن معاني عباراتهم متقاربة)[2]، بمعنى أن المعنى الكلي الوارد عن السلف متفقٌ وإن اختلف العبارات.

- ويمكن أن نلخص منهج الطبري -رحمه الله- مع السلف فنقول:

٤- **أولًا**: أنه يورد الإسناد عن السلف.

٥- **ثانياً**: أنه يحتج بالقول الواحد منهم.

٦- **ثالثاً**: إذا وقع الاختلاف بين السلف، فإما أن يجمع بين الأقوال ويجيزها، وإما أن يختار أحدها بحجة يذكرها.

## (منهج الطبري في التعامل مع اللغويين)[3]

- **أولًا**: لا يصرح بأسمائهم إلا نادرًا، بخلاف السلف فإنه يذكرهم بالإسناد، وأما أهل العربية مثل النحويين واللغويين، فإنه ينسبهم إلى المدينة، فيقول: (قال بعض أهل الكوفة)، (قال بعض أهل البصرة)، (قال بعض نحويي البصرة)، (قال بعض نحويي

---

(١) جامع البيان للطبري ٣٤٦/١١.

(٢) ينظر أمثلة لذلك في تفسيره: ٣٥٢/١، و١٣/١٨، وغير ذلك.

(٣) لمزيد من الاستفادة؛ ينظر: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ١٨٥-٢٠٥.

الكوفة)، (وهذا قول بعض لغويي الكوفة) .. وهكذا، وقد اعتمد على الفراء كثيرًا واستفاد منه.

- **ثانياً**: اختياراته -رحمه الله- في علم النحو تشير إلى أن أصوله كوفية؛ لأنه كثيرًا ما يردد مصطلحات النحوين الكوفيين، وقد أشار محمود شاكر -رحمه الله تعالى- إلى أن منهجه بغدادي -والبغداديون الذين جمعوا بين المذهبين-[1]،لكن الذي يظهر والله أعلم أن أصوله -فيما يظهر من طريقته في الترجيحات النحوية- أنه كوفي المذهب، وإن كان قد يخالف الكوفيين في بعض القضايا النحوية؛ لأنه يعتمد عليها في تفسير السلف.
- **ثالثاً**: يؤخر أقوال أهل العربية بعد أن ينتهي من أقوال السلف، وأحيانًا بعد أن يرجح بين أقوال السلف ثم يذكر أقوال أهل العربية، فهو يؤخرهم دائمًا، وإذا خالف قولُهم قولَ السلف، فإنه يرُدُّه ولا يقبله، حتى ولو احتملته الآية؛ لأن العُمْدة عنده تفسير السلف، وما خرج عن تفسير السلف فإنه مرفوض عنده، هذه هي القاعدة الكلية في طريقته في التعامل مع ما ينقله من علوم اللغويين والنحويين.
- **رابعاً**: يعتبر من المعتدلين في ذِكر المسائل النحوية، وقد نص على قاعدة عنده: أنه لا يذكر من النحو إلا ما يكون له ارتباط ببيان الآية.
- **خامساً**: لا يقبل التأويل النحوي المخالف لتفسير السلف، ومعنى ذلك أنه يختار التأويل النحوي الموافق لتفسير السلف، فيجعل تفسير السلف حجة في قبول التأويل النحوي المختلف فيه.
- **سادساً**: اعتنى بما يسمى بـ: (علم غريب القرآن)[2]، وكان حريصًا على بيان المعاني اللغوية للألفاظ، والاستشهاد لها بأشعار العرب، وبتفسير السلف أحياناً؛ لأنه يجعل

---

(١) لم أقف على إشارة الشيخ محمود شاكر إلى هذا.

(٢) المقصود بعلم (غريب القرآن) هو: (تفسير ألفاظ القرآن تفسيراً لغوياً، وقد يكون هذا التفسير مدعوماً بالشواهد العربية، وقد يكون مجرَّداً من الشواهد، وهو الأكثر) (التفسير اللغوي للقرآن الكريم، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٣٢٨).

تفسير السلف مثل الحجة اللغوية، يعني مثل الشاهد الشعري.

- **سابعاً**: يكثر من الاستشهادات اللغوية لمعاني الألفاظ، وكثيرًا ما يستشهد بشعر الأعشى، ولهذا لو أن متعلِّماً أراد أن يعتني بما يرتبط بمعاني ألفاظ القرآن وحفظ شعر الأعشى فإنه سيستفيد كثيرًا؛ لأن فيه ألفاظ كثيرة لها ارتباط بتفسير القرآن.

والطبري لا ينص –غالباً– إلى أن الشاعر هو الأعشى، ولكن بالرجوع إلى شعر الأعشى يلاحظ أنه قد نقل منه كثيرًا.

ولهذا يمكن أن يخرج باحثٌ كتابًا فيما يتعلق بمفردات ألفاظ القرآن من تفسير الطبري بشواهده التي ذكرها، وقد صنع ذلك الدكتور: عبد الرحمن عميرة، حيث أخرج ذلك في مجلدين لكنه لم يستوعب، فلو أخرج ما يرتبط بغريب القرآن أو بمفردات ألفاظ القرآن من تفسير الطبري؛ لكان ذلك أحد الكتب التي يمكن أن تخرج من تفسير الطبري(1)، وقد توفي –رحمه الله تعالى– سنة (٣١٠هـ) وله تحريرات لغوية بارعة، فلو عُدَّ من أئمة اللغة؛ لما أبعد من يعُدُّه كذلك.

ويلاحظ أن مدونات معاجم اللغة وغيرها لم تشمل جميع مفردات اللغة، بل هناك الكثير منها لم يجمع، وقد يكون بعضها موجوداً في شروحات الشعر، وكتب غريب الحديث، وأحياناً في تفسير السلف، وغير ذلك من المصادر التي لو جُمع منها ما يتعلق بتفسير هذه اللغة؛ لوجد فيها الشيء الكثير، ومن هذه المصادر تفسير الإمام الطبري، وهو بهذا يعتبر من أئمة اللغة، لكن يندر أن تُنقَل أقواله في بيان معاني الألفاظ في معاجم اللغة كلسان العرب وتاج العروس، وغيرها من المعاجم التي استوعبت جملة من كتب اللغة.

---

(١) قال أبو محمد الفرغاني: (تمَّ من كتب محمد بن جرير كتاب التفسير الذي لو ادَّعى عالم أن يصنِّف منه عشرة كتب، كلَّ كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقل؛ لفعل) (ينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩٦/٥٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٧٣/١٤).

## (المذهب الفقهي للإمام الطبري)

كان الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- مجتهدًا، ولم يكن متقيّدًا بمذهب معين، بل كان له مذهبه الخاص، وله كتب خاصة أيضًا في الفقه، وكان له أتباع لكن قليلون، وكان يسمى مذهبه بـ: (المذهب الجريري)، نسبة إلى ابن جرير، لكن هذا المذهب لم يستمر، ومع أن المذاهب المشهورة كانت قبله إلا أنه لم يتمذهب بمذهب منها، ولهذا لا تجده ينسب إلى مذهب من المذاهب المعروفة.

وأما نسبته إلى الشافعية أو إلى غيرهم فقد يكون استفاد من أصول الشافعي أو غيره، لكنه كان صاحب اجتهاد مستقل، ولم يكن مرتبطًا بشيء من هذه المذاهب.

ويلاحظ في عرضه للمسائل الفقهية المرتبطة بالقرآن أنه لا يخرج عن الأحكام القرآنية التي نصت عليها الآية، فمثلاً نجده عندما يأتي عند قوله: ﷻ ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[البقرة:٢٢٨]، فيبين الحكم الذي نصت عليه الآية ولا يستطرد بعيدًا عن ذلك[١]، بخلاف المتأخرين، فإن بعضهم حينما يأتي إلى مثل هذه الآية يناقش قضايا كثيرة متعلقة بالطلاق ولا تدل عليها الآية بوجه[٢].

## (المتن والإسناد في تفسير الطبري)

- **أولاً**: سبق أن ذكرنا أن الطبري -رحمه الله تعالى- اعتنى بذكر الإسناد، لكنه لم يعتنِ بنقد الأسانيد إلا نادراً جدًا، فقلَّما يتكلم عن إسناد من الأسانيد، وذلك مثل إسناد السدي المشهور عن بعض أشياخه، حيث قال في موطن واحد: (وإن كنت في إسناده مرتابًا)[٣]، ولم يزد على هذا، وفي رواية أخرى عنده للكلبي عن أبي صالح قال فيها: (وقد وردت من طريق من غير مرضية عن ابن عباس)، التي هي من طريق

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٤/٤٩٩.

(٢) ينظر مثلاً: البحر المحيط لأبي حيان ٢/٤٥٢، ومفاتيح الغيب للرازي ٦/٤٣٣، وروح المعاني للآلوسي ٢/١٥٥.

(٣) ١/٣٥٤.

الكلبي عن أبي صالح، لكنها قليلة.

- **ثانياً**: يحرص على عدم الرواية عن المتهمين بالكذب أو بالوضع، ولهذا مدحه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بأنه لا يروي عن الكذابين والوضاعين، مثل مقاتل بن سليمان[1]، فلا تكاد تجد له عنده رأيٌ ولا روايةٌ، مع أن تفسير مقاتل بن سليمان مشهورٌ.

ومثل الكلبي كذلك، وقد ذكر له في تفسيره ما يقرب من خمسين (٥٠) رأياً، وأورد له روايات قليلة جدًا، وغالبًا يوردها مقرونةً بغيرها وليست مستقلةً، وغالباً كذلك ما تكون من رواية الثقات عنه كمعمر أو سفيان، فقد صان تفسيره ممن اتهم بالكذب والوضع، وهذا حكم أغلبي.

**تنبيه**: قول البعض بأن الطبري -رحمه الله تعالى- سار في كتابه على قاعدة: (من أسند فقد؛ أحالك) = قول غير صحية، وقد كان يمكن صحة هذا القول لو أن الطبري لم يتعرض في كتابه لنقد المتون، ولكنه لم يذكر هذه المنهجية في مقدمة تفسيره، بخلاف كتابه في التاريخ فقد أشار إلى هذا، لكنه لم يذكر هذا في التفسير إطلاقاً، ومن حمل أسانيد التفسير على هذه القاعدة فقد جانب الصواب؛ لأن الطبري قد اعتمد على الروايات الضعيفة في تصحيح معاني الآيات، ولو كان قد اعتمد قاعدة: (من أسند فقد أحالك)؛ لما اعتمد على هذه الروايات في صحة المعاني التي تفسر بها.

أما المتون فعناية لطبري بنقدها واضح جدًا، فقد كان يبين المعنى الصحيح من الضعيف من هذه الأقوال التي يذكرها ويذكر توجيهات هذه الأقوال.

## (موقف الإمام الطبري من المبهمات)

الحديث عن موقف الطبري من المبهمات يطول جداً[2]، لكننا سنأخذ هنا منه فائدة من خلال ذكر مثال عنده في المبهمات؛ لأن المثال يدل على عقلية الطبري -

---

(١) لم أقف على هذا الكلام لشيخ الإسلام عن الطبري، وإنما ذكره عن البغوي.

(٢) للدكتور: مساعد الطيار، دروس صوتية في التعليق على مواطن من المبهمات في تفسير الطبري، متوفرة على الشبكة العنكبوتية.

رحمه الله تعالى- في طريقة التعامل مع ما لا يفيد في التفسير.

ففي قصة المائدة وما الذي نزل في المائدة، هل هو سمك وخبز، أو طعام من كل الطعوم، وغير ذلك من الأقوال الواردة فيها عن السلف، فقد أوردها الطبري، ثم عقب على هذا الخلاف بقوله: (وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول. وجائز أن يكون كان سمكاً وخبزاً، وجائز أن يكون كان ثمراً من ثمر الجنة. وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل)[1].

وهذه قاعدة جليلة في المبهمات، وهي أنه ما دام لا يبنى على معرفة المبهم علمٌ؛ فلو أنكرها أحد أو أقرها فكلاهما سواء، لعدم وجود دليل قائم يدل على هذا من ذاك، وهذه قاعدة مهمة جدًا وقد كررها -رحمه الله تعالى- في تفسيره مراراً.

## (قواعد الترجيح عند الإمام الطبري)

تميَّز تفسير الطبري بذكر القواعد الترجيحية، وسنذكر هنا بعض القواعد من خلال المجلد الذي يحوي جزءاً من سورة المائدة وسورة الأنعام، ومنه ما يلي:

- قال -رحمه الله-: (غير جائز أن يصرف ما عمَّه الله-تعالى ذكره-إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها)[2].
- قال -رحمه الله-: (وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل)[3].
- قال -رحمه الله-: (كفي خطأً بقوله، خروجه عن أقوال أهل العلم)[4].
- قال -رحمه الله-: (والقول إذا خرج من أن يكون أصلاً أو نظيراً لأصل فيما تنازعت فيه الأمة، كان واضحاً فساده)[1].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٣٢/١١.

(٢) جامع البيان للطبري ١٥٧/١١.

(٣) جامع البيان للطبري ٢٣٢/١١.

(٤) جامع البيان للطبري ٥٥/١٠.

- قال -رحمه الله-: (الكلام إذا تنوزع في تأويله؛ فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره، ما لم تأتِ حجةٌ مانعةٌ من ذلك يجب التسليم لها)[٢].

وهذا غيض من فيض من القواعد الترجيحية، فضلًا عن القواعد العلمية التي تدور في كتابه وتكثر جداً.

## (منهج الطبري في بالقراءات)

سنذكر ما يتعلق بمنهج الطبري في القراءات باختصار من خلال النقاط التالية:

- **أولاً**: يزعم بعض المعاصرين أن الإمام الطبري كان يرُدُّ القراءات المتواترة، وهذا جهل بتاريخ القراءات وبمنهج الطبري وبمنهج العلماء قبله، وجهل كذلك بمنهج العلماء بعده في التعامل مع القراءات.

فقد توفي الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- سنة (٣١٠هـ)، وتسبيع السبعة كان بعد عهده؛ لأن ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) الذي سبَّع السبعة توفي بعده.

ثم إن القائل بهذا يحاكم الطبري إلى مصطلح ظهر بعده، -أعني مصطلح (التواتر)-، فتواتر القراءات كمصطلح لم يأتِ إلا بعد الطبري، ولم يكن الطبري -رحمه الله تعالى- بدعًا في قضية تقديم قراءة على قراءة[٣].

- **ثانياً**: استخدم الطبري عدة مصطلحات في القراءات، منها:

١- مصطلح (القراءة المستفيضة).

٢- مصطلح (القراءة المشهورة).

٣- مصطلح (قراءة الحجة).

٤- مصطلح (إجماع الحجة في القراءة).

٥- مصطلح (القراءة الشاذة).

---

=

(١) جامع البيان للطبري ١١/١٨٤.

(٢) جامع البيان للطبري ١١/٤١٨.

(٣) ينظر: مقال بعنوان: (هل أنكر ابن جرير قراءة متواترة أو ردَّها؟)، من كتاب: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للدكتور: مساعد الطيار، (٢) ١/٤٢٨-٤٤٠.

ولم يوجد في تفسيره استخدام لمصطلح (القراءة المتواترة)، وهذا المصطلح مما يحتاج إلى بحث في نشأته؟

- **ثالثاً**: من مصطلحات الإمام الطبري في الترجيح والردِّ بين القراءات:
  ١- (أعجب القراءات إليَّ).
  ٢- (أولى القراءات في ذلك بالصواب).
  ٣- (القراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها).
  ٤- (هذه قراءة لا أستجيز القراءة بها).
- **رابعاً**: تعدَّدت حجج قبول القراءة عند الطبري، ومنها ما يلي:
  ١- علل سياقية.
  ٢- موافقة رسم المصحف.
  ٣- استفاضة القراءة.
  ٤- وجود معنى نظير للقراءة في القرآن.
  ٥- علل لغوية وتصريفية.
  ٦- مجيء تفسير المفسرين على معنى تلك القراءة دون هذه القراءة.
  ٧- الأفصح في اللغة.

وهذه المسائل تحتاج إلى بحث، وما ذكرته هنا ما هو إلا إشارات سريعة، ومن المهم تقريره: أن الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- لم يكن بدعًا في هذا العمل، ولا يصح القول بأنه أنكر القراءات المتواترة.

## نموذج من تفسير الإمام الطبري:

قال المؤلف -رحمه الله-: (وقوله: ﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ۝٥٧﴾[ص:٥٧]، يقول -تعالى ذكره-: هذا حميم، وهو الذي قد غلي حتى انتهى حرُّه، وغساق فَلْيذوقوه؛ فالحميم مرفوع بهذا، وقوله: ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ معناه التأخير، لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفياً بقوله ﴿فَلۡيَذُوقُوهُ﴾ ثم يُبْتَدأ فيقال: حميم وغَسَّاق، بمعنى: منه حميم ومنه غَسَّاق. كما قال الشاعر: حتى إذا أضَاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ

* وَغُـودِرَ البَقْـلُ مَلْـوِيٌّ وَمَحْصُـودُ. وإذا وُجِّـه إلى هـذا المعنـى جـاز في هـذا النصـب والرفـع. النصب: على أن يُضْمر قبلها لها ناصب، كم قال الشاعر: زِيادَتَنا نُعْمانُ لا تَحْرِمَنَّنا * تَقِ اللهَ فِينا والكِتابَ الَّذي تَتْلُو. والرفع بالهاء في قوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ كما يقال: الليلَ فبادروه، والليلُ فبادروه)[1].

## التعليق

نلاحظ أنه ذكر المعنى الجملي -وإن كان لم يفسر معنى الغساق- والغساق فيه خلاف، ثم ذكر ما يرتبط بالإعراب وجواز الوقف على قوله : ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾، ثم تبتدئ: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ ، يعني: على التفصيل؛ منه حميم، ومنه غساق، ثم أتى باستدلالات شعرية لهذه القضية النحوية.

*****

ثم قال: (حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المضفل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ [ص:٥٧]، قال: الحميم: الذي قد انتهى حَرُّه. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الحميم دموع أعينهم، تجمع في حياض النار فيسقونه)[2].

## التعليق

نلاحظ أنه ذكر عن السلف معنى الحميم أنه الذي انتهى حره، ونجده هو كذلك قد فسَّر الحميم بهذا المعنى، ونلاحظ أنه ذكر عن ابن زيد قدراً زائداً في معنى الحميم في قوله: (دموع أعينهم تجمع في حياض النار فيسقونه)، وقد سكت الطبري على هذه الزيادة التي ذكرها ابن زيد ولم يعترض، لأنها قضية غيبية تحتاج إلى نصٍّ يؤيدها، فتظل تحت دائرة الاحتمالات حتى يَرِد ما يثبتها أو يَرُدُّها، وهذا هو منهج الطبري في مثل هذه المرويات،

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٢٥/٢١.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٢٦/٢١.

يسكت عنها، ولا يشير إلى موافقة أو مخالفة.

*****

ثم قال: (وقوله: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾اختلفت القرأة في قراءته، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف "وَغَسَاق" قالوا: هو اسم موضع. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ -مشددة-، ووجهوه إلى أنه صفة من قولهم: غسق يغسق غسوقاً إذا سال، وقالوا: إنما معناه: أنهم يسقون الحميم، وما يسيل من صديدهم. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وإن كان التشديد في السين أتمّ عندنا في ذلك؛ لأن المعروف ذلك في الكلام، وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته)(١).

## التعليق

هنا يظهر تحليله للقراءات، فيقول: ورد في (غساق) قراءتان؛ الأولى: بتشديد السين، والثانية: بتخفيفها، يعني: (غَسَاق) و(غَسَّاق). وذكر أن أهل القراءة الأولى وجهوه إلى أنه موضع اسمه غَسَاق في النار، وذكر القول الأخير وأنه من السيلان، غسق الوادي إذا سال، وغسق الجرح أيضاً إذا سال صديده، ثم نبه على أن القراءتين كلاهما صحيحة، قال: (فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب)، ولكنه ذكر أن أحبها إليه التشديد؛ لكونها أتمّ من جهة المعنى، والمعروف من كلام العرب، فهذه إحدى الطرائق في الترجيح بين القراءات عنده.

*****

ثم قال: (واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾[ص:٥٧]، قال: كنا نحدث أن الغسَّاق: ما يَسِيل من بين جلده ولحمه. حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: الغساق: الذي يسيل من أعينهم من دموعهم، يسقون مع الحميم. حدثنا ابن حميد، قال:

(١) جامع البيان للطبري ٢٢٦/٢١.

ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قال: الغسَّاق: ما يسيل من سُرْمهم، وما يسقط من جلودهم. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الغساق: الصديد الذي يجمع من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه. حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهميّ، قال: ثني أبي، قال: ثنا ابن لَهِيعة، قال: ثني أبو قبيل أنه سمع أبا هبيرة الزيادي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: أيّ شيء الغسَّاق؟ قالوا: الله أعلم، فقال عبد الله بن عمرو: هو القَيْح الغليظ، لو أن قطرة منه تُهَرَاق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تُهَرَاق في المشرق لأنتنت أهل المغرب. قال يحيى بن عثمان، قال أبي: ثنا ابن لهيعة مرة أخرى، فقال: ثنا أبو قبيل، عن عبد الله بن هبيرة، ولم يذكر لنا أبا هبيرة. حدثنا ابن عوف، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا أبو يحيى عطية الكلاعيّ، أن كعباً كان يقول: هل تدرون ما غسَّاق؟ قالوا: لا والله، قال: عَيْنٌ في جهنم يسيل إليها حُمَّةُ كل ذات حُمَة من حية أو عقرب أو غيرها، فيستنقع فيؤتي بالآدمي، فيُغْمَس فيها غمسةً واحدةً، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، حتى يتعلق جلده في كعبيه وعقبيه، وينجر لحمه كجر الرجل ثوبه)(١).

### التعليق

كلام كعب يوافق القراءة هذه في الموضع، لكن ذلك يحتاج إلى مراجعة؛ هل هو اسم موضع أم ماذا؟

*****

ثم قال: (وقال آخرون: هو البارد الذي لا يستطاع من برده. ذكر من قال ذلك: حُدثت عن يحيى بن أبي زائدة، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد: ﴿وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ قال: باردٌ لا يُسْتطاع، أو قال: برد لا يُسْتطاع. حدثني عليّ بن عبد الأعلى، قال: ثنا المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ [ص:٥٧] قال: يقال: الغسَّاق: أبرد البرد. ويقول آخرون: لا بل هو أنْتَن النَّتْن. وقال آخرون: بل هو المنْتِن. ذكر من قال

(١) جامع البيان للطبري ٢٢٦/٢١-٢٢٧.

ذلك: حُدثت عن المسيب، عن إبراهيم النكري، عن صالح بن حيان، عن أبيه، عن عبد الله بن بُرَيدة، قال: الغسَّاق: المنتن، وهو بالطُّخارية. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدريّ، أن النبيّ ﷺ قال: لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَراقُ فِي الدُّنْيا؛ لأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيا. وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغُسُوق، وإن كان للآخر وجه صحيح)(١).

**التعليق**

نلاحظ أنه أورد الروايات في الاختلاف ثم رجح، والمعتمد في الترجيح أن الأغلب من معنى الغساق في اللغة هو ما يسيل، فهو راجع إلى مادة السيلان، وهذا يدل على أن الحديث الذي أورده فيه ضعف، ولو كان الحديث صحيحاً؛ لما اعترض عليه، لكن من منهجه أنه يورد ما يتصل من الآثار بتفسير الآية، فاعتمد المعنى الأول؛ لأنه الأغلب، قال: (وإن كان للآخر وجه صحيح)، ووجه صحته أن الغسق يطلق في اللغة على الشيء البارد، فمنهم يسميه الغسق لأنه وقت برودة في الجو، وغسق الليل يعني: الوقت البارد منه، فأطلق عليه غسق.

## نموذج من تفسير الإمام ابن أبي حاتم(٢):

قال –رحمه الله–: (قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود:٤٣]. حَدَّثَنَا أَبِي ثنا سَهْلُ بْنُ غِيَاثٍ، ثنا حَفْصُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ لَمَّا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ الْغَرَقُ قَالَ: قَامَ الْمَاءُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ جَبَلٍ خَمْسَةَ عَشْرَةَ رَأْساً، قَالَ: أَصَابَ الْغَرَقُ امْرَأَةً فِيمَنْ أَصَابَ لَهَا صَبِيٌّ فَوَضَعَتْهُ عَلَى صَدْرِهَا، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ؛ وَضَعَتْهُ عَلَى مِنْكَبَيْهَا، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ؛ وَضَعَتْهُ عَلَى يَدَيْهَا. قَالَ: فَقَالَ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: لَوْ رَحِمْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَحِمْتُهَا. حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ، ثنا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي شراد

(١) جامع البيان للطبري ٢١/٢٢٨.

(٢) ذكر الدكتور هذا النموذج من تفسير أبي حاتم دون التقديم بتعريفه كبقية حديثه عن الكتب.

قـال: غـرق الْمَـاءُ الْجِبَـالَ فَوْقَهَـا ثَمَـانِينَ مِـيلا. قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ [هـود: ٤٤]. حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ الْمُزَنِيُّ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سِنَانٍ، عَنْ نُوحِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، ﴿وَغِيضَ﴾ [هـود: ٤٤] قَالَ: خَرَجْتُ أُرِيدُ أَنْ أَشْرَبَ مَاءً فَمَرَرْتُ بِالْفُرَاتِ فَإِذَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَقَالا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ: أَشْرَبُ مَاءَ الْمُرِّ، قَالَ: لَا تَشْرَبُ مَاءَ الْمُرِّ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ، أَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ أَنْ تَبْلَعَ مَاءَهَا، وَأَمَرَ السَّمَاءَ أَنْ تُقْلِعَ، فَاسْتَعْصَى عَلَى بَعْضِ الْبِقَاعِ، فَلَعَنَهُ فَصَارَ مَاؤُهُ مُرّاً وَتُرَابُهُ سَبَخاً لَا يُنْبِتُ شَيْئاً. أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطِّهْرَانِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ يَقُولُ بِالْحَبَشِيَّةِ: ازْرُدِيهِ)[1].

## التعليق

بالحبشية: ازرديه، من ازدرد الطعام يعني: أكله، كأنه يقول: إن مادة بلع هذه حبشية.

ولغة الحبشة أصلها عربية؛ لأن العرب انتقلوا إلى الحبشة، فقد تكون هناك موافقة بين الأصل والفرع، وليس محل بحثها هنا، لكن أشرنا إليها فقط للتنبه لمثل هذا.

*****

ثم قال: (حَدَّثَنَا أَبِي ثنا أَبُو صَالِحٍ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هـود: ٤٤]، يَقُولُ: اسْكُنِي. وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، نَحْوُ ذَلِكَ)[2].

## التعليق

المقصود من هذا النموذج أن ينتبه إلى أن منهج ابن أبي حاتم في كتابه يسير على هذه الطريقة، فليس فيه إلا آثار، ويستفاد منه حال البحث عن أثر من آثار السلف، ويعد

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٦/٢٠٣٦.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٦/٢٠٣٦.

مرجعاً يرجع إليه، وليس صالحاً للقراءة، لعدم تكامل المادة التفسيرية فيه، بخلاف تفسير الإمام الطبري.

## المطلب الثاني: (تأويلات أهل السنة) للماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)

### التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، يلقب بـ (علم الهدى)، من أئمة علماء الكلام، ونسبته إلى (ما تريد)، وهي محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر وُلد بها.

تفقه على أبي بكر أحمد الجوزجاني عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد عن أبي حنيفة، ومن مؤلفاته: التوحيد، وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة، ومآخذ الشرائع، والجدل، وتأويلات القرآن، وتأويلات أهل السنة، وشرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة، وكانت وفاته بـسمرقند سنة (٣٣٣هـ)(١).

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه(١):

- **أولاً**: يلاحظ في هذا الكتاب كثرة الاستدلالات العقلية، وفضلاً عن أن مؤلفه أبعده عن آثار السلف؛ فإنه يتهاون في ردِّ ما يحكيه من الإجماع.

ومن ذلك قوله عند تفسيره للأيام المعدودة في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[البقرة:٨٠]قال: (أَجمع أَهل التفسير والكلام على صرف الأَيام المعدودة المذكورة في هذه الآية إلى أَيام عبادة العجل. وذلك لا معنى له؛ لوجهين؛ أحدهما: أَن هَٰؤُلَاءِ لم يعبدوا العجل، وإنما عبد آباؤُهم، فلا معنى لصرف ذلك إلى هَٰؤُلَاءِ. والثاني: لو صرف ذلك إلى آبائهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل أيضًا؛ لأَنهم قد تابوا ورجعوا عن ذلك، فلا معنى للتعذيب على عبادة العجل بعد التوبة والرجوع إلى عبادة الله؛ كقوله ﷻ: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ

---

(١) انظر ترجمته في: الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر الحنفي ٢/١٣٠، وتاج التراجم لابن قُطلُوبغا ص: ٢٤٩، وطبقات المفسرين للأدنه وي ١/٦٩.

ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال:٣٨]، والله أعلم. وتصرف الأَيام المعدودة إلى العمر الذي عَصَوا فيه)[٢].

## التعليق

هذه كلها استدلالات عقلية، ومن الغريب أنه حكى الإجماع ثم اعترض عليه باستدلال عقلي، ونحن نحاكمه إلى قوله، مع أنه لا يوجد إجماع على ما ذكره أصلاً.

وهذا الإجماع الذي زعمه منتقَدٌ بما رواه الطبري عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود قالوا أنهم يُعذبون سبعة أيام[٣]، فالأيام المعدودة ورد فيها قولان عند السلف:

- **الأول**: أنها أربعون يوماً.
- **الثاني**: أنها سبعة أيام.

والقول الذي زعم أنه إجماع هو قول الجمهور، منهم ابن عباس، وقتادة، والسدي، وأبي العالية، وعكرمة، والضحاك، وزيد بن أسلم[٤].

- **ثانياً**: يلاحظ أيضاً في هذا الكتاب كثرة التأويلات الباطلة والضعيفة، وذلك بسبب اعتماد المؤلف مبدأ إدخال المحتملات بلا قاعدة معينه، فليس لديه ضابط لما يدخل وما لا يدخل من المحتملات، ولهذا يرد عنده كثير من المحتملات التي تكون ضعيفة أو باطلة.

=

(١) ينظر أيضاً: مقال بعنوان: (تفسير أبي منصور الماتريدي)، من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٢/٤٧١-٤٧٩.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١/٥٠٠-٥٠١.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٢/٢٧٧ (١٤١٠)، و٢/٢٧٨ (١٤١٢).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري ٢/٢٧٤-٢٧٨.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣] قال: (يقولون يحتمل وجهين، يحتمل الصلاة المعروفةَ، يقيمونها بتمام ركوعها وسجودها، والخشوع، والخضوع له فيها، وإخلاص القلب في النية؛ على ما جاء في الخبر: "انْظُرْ مَنْ تُنَاجِي"، ويحتمل الحمد له والثناء عليه. فإن كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ، ولا الرفع في الدنيا والآخرة)(١).

**التعليق**

هذا الوجه الثاني غريب جداً، ولم ينسبه المؤلف لأحد، فقد يكون ذكره من عند نفسه احتمالاً، وقد يكون نقله عن غيره، وعلى أية حال فهو قول ضعيف وليس صحيحاً.

- **ثالثاً**: أكثر المؤلف من الرَدِّ على المعتزلة.
- **رابعاً**: نَحَى المؤلف في المسائل الفقهية إلى مذهب أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ)، وهذا غير ظاهر في الجزء المطبوع من كتابه.
- **خامساً**: يقل الاستشهاد بالشعر في هذا الكتاب؛ وذلك لأن العُمْدة عند مؤلفه – كما أسلفت– هي القضايا العقلية.
- **سادساً**: ينقل المؤلف عن أهل الكلام، ويعتمد تفسيرهم، ويقدمه على تفسير السلف، ومن أمثلة ذلك قوله: (ثم اختلَف أهلُ التفسير في العَالَمِين: فمنهم من رد إلى كل ذي روح دب على وجه الأرض، ومنهم من رد إلى كل ذي روح في الأَرض وغيرها، ومنهم من قال: لله كذا، كذا عالم، والتأويل عندنا ما أجمع عليه أهل

---

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١-٣٧٣-٣٧٤.

الكلام؛ أن العالَمين اسم لجميع الأَنام والخلق جميعاً. وقول أَهلِ التفسير يرجع إلى مثله، إلا أَنهم ذكروا أسماء الأعلام، وأَهل الكلام ما يجمع ذلك وغيرَهم)[1].

فيلاحظ أنه اعتمد قول أهل الكلام أولاً، ثم أدخل فيه قول أهل التفسير.

- **سابعاً**: من الإشكالات العقدية عند المؤلف أن مفهوم الإيمان عنده هو التصديق، كاعتقاد الأشاعرة[2]، وقد ظهر هذا جلياً في كتابه، ومن ذلك قوله: (وإن كان في أَهل الكتاب ففيه الأَمر بالإيمان الذي هو إيمان، وهو التصديق. والإيمان عندنا هو التصديق بالقلب، دليله قول جميع أَهل التأْويل والأَدب أنهم فسروا: ﴿ءَامَنُواْ﴾: صدَّقوا في جميع القرآن)[3].

وقال أيضاً عند قوله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥] (الآية تنقض قول من جعل جميع الطاعات إيمانًا؛ لما أثبت لهم اسم الإيمان، دون الأعمال الصالحات، غير أن البشارة لهم، وذهاب الخوف عنهم إنما أُثبت بالأعمال الصالحات، ويحتمل الأعمال الصالحات: عمل القلب، وهو أن يأتي بإيمان خالص لله، لا كإيمان المنافق بالقول دون القلب)[4].

---

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١/٣٦٠.

(٢) مذهب الأشاعرة في الإيمان مضطرب، والخلاصة أن الوارد عنهم فيه ثلاثة أقوال؛ **الأول**: وافقوا فيه السلف في أن الإيمان قول وعمل. **الثاني**: وافقوا فيه فقهاء المرجئة، وابن كلاب، في أن الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان. **الثالث**: وافقوا فيه الجهمية في أن الإيمان مجرد تصديق القلب، وهو أشهر الأقوال عن شيخهم أبي الحسن الأشعري، وعليه أكثر أصحابه كالباقلاني والجويني والماتريدي. (ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٠/٧، ١٤٣/٧، و٥٠٩/٧، و٤٧/١٣، و٨٦/٢٠، والتسعينية له ٢٥٦/٢، والنبوات له أيضاً ٥٨٠/١).

(٣) المص تأويلات أهل السنة للماتريدي ٣٨٥/١.

(٤) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٤٠٣/١.

## التعليق

كأنه هنا يريد أن يرد على المعتزلة، فإنهم يرون الأعمال غير الإيمان.

ويلاحظ أنه ادَّعى الإجماع في أن المراد بالإيمان: التصديق، لكننا لو نظرنا إلى كلام السلف لوجدناه غير ذلك، فقد ذكر الإمام الطبري أقوال السلف عند تفسيره لقول الله ﷻ : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣]، ومنها: قال ابن مسعود: الإيمان التصديق. وقال ابن عباس: يؤمنون يصدقون. وقال الربيع بن أنس: يؤمنون يخشون. وقال الزهري: الإيمان العمل، ثم قال: (ومعنى الإيمان عند العرب: التصديق فيدعى المصدق بالشيء قولاً مؤمناً به، ويدعى المصدق قوله بفعله مؤمناً. ومن ذلك قول الله -جل ثناؤه-: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [يوسف:١٧] يعني: وما أنت بمصدق لنا في قولنا. وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الذي هو تصديق القول بالعمل. والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبه بصفة القوم: أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب، قولاً، واعتقاداً، وعملاً، إذ كان جل ثناؤه لم يحصرهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى، بل أجمل وصفهم به من غير خصوص شيء من معانيه أخرجه من صفتهم بخبر ولا عقل)(١).

فقول الطبري هنا يفنِّد ما زعمه الماتريدي من ادعاء الإجماع بأن المراد بالإيمان هو التصديق، وأن العمل لا يدخل في الإيمان، فالسلف -كما سبق- يرون أن العمل من الإيمان.

- **ثامناً**: تظهر عناية المؤلف بالاستدلال والاستنباط من الآيات، وقد تكون هذه الاستنباطات عقدية تتناسب مع ما يذهب إليه، وقد تكون غير ذلك.

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة:٢٤] يقول: (في الآية دلالة أنها لم تعد لغير الكافرين)(٢)، يرد بذلك على المعتزلة في تخليدهم

---

(١) جامع البيان للطبري ١/٢٣٥.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١/٤٠٢.

لصاحب الكبيرة في النار.

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة:٣٢]: (وفي الآية منعُ التكلم في الشيء إلا بعد العلم به، والفزع به إلى الله عن القول به إلا بعلم، وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله. وبه أَمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦])[(١)].

وهذه من الاستنباطات اللطيفة عنده، ولكن فيه أيضاً جملة من الاستنباطات التي تتمشى مع مذهبه العقدي.

- **تاسعاً**: وهذا الكتاب في الحقيقة لا يستفيد منه إلا المتخصصون، بل إنه يعد مرجعاً لمن أراد أن يعرف الأقوال المنحرفة وأقوال أهل التأويل في التفسير.

## نموذج من تفسير الماتريدي:

قال المؤلف -رحمه الله-: (وقوله ﷻ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة:٤٧]، يحتمل: فضَّل أَوائلهم. وفي الآية وجهان على المعتزلة؛ أَحدهما قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وعندهم: أَن جميع ما فعل مما عليه الفعل، ولو فعل غيره لكان يكون به جائراً، فإذا كان تركه بفعله جائراً ففعله حق عليه. ولا أَحد يكون بفعل ما لا يجوز له الترك منعماً على أَحد؛ فثبت أن كان ثَمَّ منه معنى زائدٌ خصهم به، وأَن ليس التخصيص محاباة كما زعمت المعتزلة، ولا ترك الإنعام بخلٌ كما قالوا. والثاني قوله ﷻ : ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فلو لم يكن منه إليهم فضل معنىً؛ لم يكن لهم تفضيل على غيرهم، فثبت أن كان فيهم ذلك. ومن قول المعتزلة أن ليس لله أن يخص أحداً بشيء إلا باستحقاقٍ يفعله، وبذلك هم فضلوا أَنفسهم على العالمين، لا هو، فكيف يَمُنُّ عليهم بذلك؟! ولا قوة إلا بالله. مع ما لا يخلو تفضيله إياهم على غيرهم من أن يكون لهم الفضلُ في الدِّين أولاً. فإن لم يكن فليس ذلك بتفضيل، وإن كان ثبث أن ليس من الحق عليه التسوية بين الجميع

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١/٤٢١.

في أسـباب الـدِّين. وقولـه ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقـرة:٤٨]-والله أعلم-كأنها مؤخرة في المعنى وإن كانت في الذكر مقدمة؛ لأنه قال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ ثم ذكر الأفضال والمِنَنَ فقال: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة:٤٩]، وقوله: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ﴾ [البقـرة:٥٠]. وقولـه: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠﴾ ذكَّرهم ﷻ عظيم نعمه ومنَنِه عليهم؛ ليشكروا له، وليعرفوا أنها مِنَّةٌ، وأَنه فضلٌ مِنْهُ، ثم حذَّرهم ﷻ فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة:٤٨] ليكونوا على حذر؛ لئلا يصيبهم ما أصاب الأُمم السالفة من الهلاك وأنواع العذاب بعد الأمن، والتوسع عليهم كقولـه: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا﴾ [الأنعـام:٤٣] إلى قولـه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [الأنعام:٤٤]. ثم في الآية دليل لقول أبي حنيفة وأصحابه: إن الولد يصير مشتوماً مقذوفاً بشتم والديه؛ لما عيَّرهم ﷻ بصنع آبائهم بقوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [البقرة:٥١] وهم لم يتخذوا العجل، وإنما اتخذ ذلك آباؤهم)[١].

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١/٤٥٢-٤٥٣.

## المطلب الثالث: (بحر العلوم) للسمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)

### التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو: الإمام، الفقيه، المحدث، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الملقب بـ (إمام الهدى)، علَّامة من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين.

له مؤلفات نفيسة، منها: عمدة العقائد، وبستان العارفين، وخزانة الفقه، وتنبيه الغافلين، وفضائل رمضان، والمقدمة -في الفقه-، وشرح الجامع الصغير، وعيون المسائل، ودقائق الأخبار في بيان أهل الجنة وأهوال النار، ومختلف الرواية في الخلافيات بين أبي حنيفة ومالك والشافعي، وشرعة الإسلام، والنوازل من الفتاوى، وكانت وفاته سنة (٣٧٣هـ)[(١)].

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

- **أولاً**: اشتهر أبو الليث السمرقندي بالوعظ وله في ذلك كتاب (بستان العارفين) ، ومن المعلوم أن تخصص العالم يؤثر على تفسيره؛ ولهذا نجد أث٢ر هذا الجانب الوعظي في تفسيره، ومن ذلك ما ذكره عند قوله ﷻ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾ [البقرة:٣٨] قال: ((وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ﴾ [البقرة:٣٨]، يعني آدم وحواء وإبليس والحية. وفي الآية دليل على أن المعصية تزيل النعمة عن صاحبها؛ لأن آدم قد أخرج من الجنة بمعصيته. وهذا كما قال القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها * فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله * فإن الإله شديد النقم

---

(١) انظر ترجمته في: الجواهر المضية الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر الحنفي ١٩٦/٢، وتاج التراجم لابن قُطلُوبغا ٣١٠/١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٢/١٦-٣٢٣، وطبقات المفسرين للداودي ٣٤٦/٢.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد:١١])[1].

ومن ذلك أيضاً ما قاله عند قوله ﷻ ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥]: (ذكر في هذه الآية الطاعة الظاهرة والطاعة الباطنة، فأمر بالصبر والصلاة، لأنه ليس شيء من الطاعة الظاهرة أشدَّ من الصلاة على البدن، لأنه يجتمع فيها أنواع الطاعات: الخضوع والإقبال والسكون والتسبيح والقراءة، فإذا تيسَّر عليه الصلاة تيسَّر عليه ما سوى ذلك، وليس شيء من الطاعات الباطنة أشد من الصبر على البدن، فأمر الله بالصبر والصلاة لأنه حسن، ثم قال: إنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، فالله تعالى مع كل أحد، ولكن خصّ الصابرين لكي يعلموا أن الله ﷻ يفرج عنهم)[2].

- **ثانياً**: يعتني بمفردات القرآن وبيان معاني الألفاظ، ومن ذلك ما ذكره عند قوله ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة:١١٧] قال: (﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة:١١٧]، أي: خالقهما. والإبداع في اللغة: إنشاء شيء لم يُسْبَقْ إليه على غير مثال ولا مشورة. وإنما قيل لمن خالف السنة: مبتدع، لأنه أتى بشيء لم يسبقه إليه الصحابة ولا التابعون. ومعناه هو خالق السموات والأرض)[3].

فيلاحظ عنايته ببيان المدلولات، ولا يخلو كتاب من كتب التفسير من بيان الألفاظ، لكن محاولة التحرير بهذه الطريقة ليست موجودة في كل تفسير.

- **ثالثاً**: لا يخلوا هذا الكتاب من القصص والأخبار الإسرائيلية، وقد كان المؤلف يروى هذه القصص والأخبار عن مفسري السلف كابن عباس والسدي والكلبي ومقاتل وغيرهم.

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٧٣/١.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ١٣١/١.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ١١٤/١.

وهو مكثر من الرواية عن مقاتل والكلبي، وروايته عنهما ليست عيباً؛ لأنه يروي قولهما وليس نقلهما، والقول يمكن معرفة صحته من عدمه، أما النقل عنهما فلا يقبل بل يتوقف فيه.

- **رابعاً**: يروي المؤلف تفسير السلف بلا إسناد، ويعلقه على قائله، ومن ذلك قوله عند تفسير قوله ﷻ ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فُصِّلَت:١٧]((يعني: بيّنا لهم الحق من الباطل، والكفر من الإيمان. وقال مجاهد: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ أي: دعوناهم. وقال قتادة ومقاتل: بيّنا لهم. وقال القُتبي[1]: دعوناهم، ودللناهم))[2].

ومن ذلك أيضاً قوله عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل:١٦] (أي: جعل في الأرض علامات من الجبال وغيرها تهتدون به الطرق في حال السفر. ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ أي: بالجَدْي، والفرقدين تعرفون بها الطرق في البر والبحر. وروى عبد الرزاق عن معمر في قوله: وَعَلامـاتٍ قال: قال الكلبي: الجبال. وقال قتادة: النجوم. وروى سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل:١٦] قال: منها ما يكون علامة، ومنها ما يهتدى به. وقال عمر بن الخطاب: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في طرقكم وقِبْلتكم، ثم كفوا، وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم. وقال السدي: وَعَلاماتٍ أي: الجبال بالنهار يهتدون بها الطرق، والنجوم بالليل)[3].

### التعليق

يلاحظ في هذه الأمثلة أنه ينقل عن مجموعة من السلف، ويعلق الأقوال عليهم دون ذكر الإسناد، وقد يورد الإسناد لكن بقلة.

---

(١) القتبي هو ابن قتيبة، يطلق عليه القتيبي والقتبي، والسمرقندي مكثر من النقل عنه، ويكاد يكون كتابه تفسير (غريب القرآن) موجود بكامله في (بحر العلوم).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ٣/٢١٢.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ٢/٢٦٩.

- **خامساً**: لم يعتن بقضية الترجيح، وقد يرجح لكن بقِلَّةٍ.
- **سادساً**: يعتنى المؤلف بذكر القراءات ونسبتها إلى أصحابها سواء كانت متواترة أو شاذة، ويذكر توجيهها أيضاً.

ومن ذلك قوله عند تفسير قول الله ﷻ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس:٣٠] يقول: (ثم قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: قرأ حمزة والكسائي تتلوا كل نفس بالتاءين، يعني: عند ذلك تقرّ كل نفس برة أو فاجرة مَّا أَسْلَفَتْ، يعني: ما عملت من خير أو شر. وهذا قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١]، ويقال: تتلو يعني: تتبع، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس:٢] يعني: يتبعها، وقرأ الباقون: ﴿تَبْلُواْ﴾ بالتاء والباء، يعني: عند ذلك تجد، ويقال: تظهر، كقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق:٩]، وقال القُتْبي: أي يختبر))[(١)]، فيلاحظ هنا أنه أورد القراءات الواردة في ﴿تَبْلُواْ﴾ ثم بيَّن معنى القراءتين.

- **سابعاً**: يعتنى المؤلف كثيراً بالتفسير المنقول، كأسباب النزول ومَن نزل فيه الخطاب.
- **ثامناً**: لم يخل الكتاب من حكاية تأويلات المتكلمين، ولا يبعد أن يكون أبو الليث (ت: ٣٧٣هـ) قد تأثر بعقيدة الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)؛ لقرب المسافة والعهد بينهما، -وإن كان هذا يحتاج إلى تتبع-.

## نموذج من تفسير السمرقندي:

قال: (﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الجاثية:٢٤] يعني: آجالنا تنقضي، نموت ويحيي آخرون. يعني: نموت نحن ويحيا أولادنا ويقال يموت قوم ويحيا آخرون ووجه آخر نَمُوتُ وَنَحْيَا يعني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع لا للتأخير. ووجه آخر: نموت ونحيا، أي: كنا أمواتاً في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم يهلكنا الدهر، فذلك قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٢/١١٤.

يعني: لا يميتنا إلا مضي الأيام، وطول العمر. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٤]يعني: يقولون قولاً بغير حجة، ويتكلمون بالجهل إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ يعني: ما هم إلا جاهلون. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [الجاثية:٢٥] يعني: تُعرَض عليهم آيات القرآن واضحات، بين فيه الحلال والحرام مَّا كانَ حُجَّتَهُمْ أي: لم تكن حجتهم وجوابهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ يعني: أحيوا لنا آباءنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بأنا نبعث. ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ [الجاثية:٢٦]: يخلقكم من النطفة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انقضاء آجالكم. ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني: يوم القيامة يجمع أولكم وآخركم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه عند المؤمنين، ويقال: لا ينبغي أن يشك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يعني: البعث بعد الموت. قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية:٢٧] يعني: خزائن السموات والأرض. ويقال له: نفاذ الأمر في السموات والأرض ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يعني: يخسر المكذبون بالبعث، وهم أهل الباطل والكذب. ثم قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف:١٨٧]. ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ﴾ [الجاثية:٢٨] يعني: مجتمعة للحساب على الرُكَب كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا، يعني: إلى ما في كتابها من خير أو شر، وهذا كقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١] يعني: بكتابهم. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية:٢٨] يعني: يقال لهم: اليوم تثابون بما كنتم تعملون في الدنيا، من خير أو شر. قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الجاثية:٢٩] يعني: هذا الذي كتب عليكم الحفظة يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ، يعني: يشهد عليكم بالحق. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية:٢٩] يعني: نستنسخ عملكم من اللوح المحفوظ، نسخة أعمالكم، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية:٢٩] من الحسنات والسيئات. قال أبو الليث-رحمه الله-: حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الماسرجسي قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا بقية بن الوليد قال: حدّثنا أرطأة بن المنذر، قال: عن مجاهد عن ابن عمر عن

النبي ﷺ أنه قال: أول ما خلق الله القلم، فكتب ما يكون في الدنيا من عمل معمول، برّاً وفاجراً وأحصاه في الذكر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية:٢٩] فهل يكون النسخ إلا من شيءٍ قد فُرغ منه؟)[١].

## التعليق

يعتبر هذا الكتاب من التفاسير المتوسطة، وعبارته سهلة، وتفسيره مباشر، ويعتبر أيضاً من الكتب الصالحة للقراءة؛ ففيه المادة التفسيرية المتكاملة، ولا يخلو كتاب من ملاحظات، لكن المقصود أنه يمكن الاستفادة منه.

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٣/٢٦٧-٢٦٨.

## المبحث الثاني

## كتب السنة التي تضمَّنت كتاباً في التفسير في القرن الرابع

وفيه مطلب واحد:

- السنن الكبرى للإمام النسائي (ت: ٣٠٣هـ) -نموذجاً-.

## التعريف بالمؤلف:

هو: القاضي الحافظ، شيخ الاسلام، صاحب السنن، أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي، أصله من نَسَا بخراسان، جال في البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة بفلسطين فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلاً، فمات ودفن ببيت المقدس سنة (٣٠٣هـ)، وقيل خرج حاجاً فمات بمكة.

له تآليف كثيرة؛ منها: السنن الكبرى، والمجتبى –السنن الصغرى–، والضعفاء والمتروكون، وخصائص علي، ومسند عليّ، ومسند مالك، وغير ذلك(١).

## التعريف بكتاب التفسير من سنن النسائي، وطريقة مؤلفه فيه:

١- يروي المؤلف التفسيرَ بالإسناد كما هو منهجه في بقية كتابه السنن الكبرى.

٢- يورد كثيراً من أسباب النزول، وقد وردت صيغة النزول في كتاب التفسير عنده فقط قرابة مائتين وعشرين (٢٢٠) مرة.

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٦٥]، أورد السند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكون لها ولد تجعل على نفسها لإن كان لها ولد لتهودنَّه، فلما أسلمت الأنصار؛ قالوا: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٦٥])(٢).

٣- سار المؤلف في كتابه على منهج المحدثين من إيراد الأحاديث المناسِبة لمعنى الآية.

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلِّكان ١/٧٧-٧٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/١٢٥-١٣٦، وتهذيب الكمال للمزي ١/٣٢٨-٣٣٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٤/١٥.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير ١٠/٣٦ (١٠٩٨٢)

ومثال ذلك ما أورده عند قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:٢٥]قال: (روى الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم قد أضلَّ راحلته في أرضٍ مهلكةٍ يخاف أن يقتله الجوع)[١].

٤- يورد الأحاديث المتعلقة بالآية ولو كانت من وجهٍ ضعيف، ومثال ذلك عند قول الله ﷻ: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧]فقد أورد حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)[٢]، فكأنه يريد أن يقول: إن الله تعالى قد جعل الكعبة مثابة للناس يأتون إليها، وسيقع فيها تخريب، وهذا الحديث الذي ذكره ليس له علاقة مباشرة بتفسير الآية، لكن له ارتباط بقضية الكعبة، فلذلك أورده هنا، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة في كتابه.

٥- يورد المؤلف بعض آثار الصحابة ﷺ في التفسير، لكن غالب على ما يورده من ذلك يدخل في أسباب النزول، وليس من باب التفسير، ومن أمثلة ما أورده عن الصحابة رضي الله عنهم قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥] قال ابن عباس: إلى مكة)[٣]، وهذا الأثر من التفسير ولكنه قليلٌ عنده.

## نموذج من كتاب التفسير من سنن النسائي:

قال المؤلف -رحمه الله-: ((قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧١-٧٢]أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبِ بْنِ عَرَبِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي

(١) السنن الكبري للنسائي، كتاب التفسير ١٠/٢٤٩ (١١٤١١).

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير ١٠/٨٦ (١١٠٨٧).

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير ١٠/٢١١ (١١٣٢٢).

هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، أَغْوَيْتَ النَّاسَ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: وَأَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، تَلُومُنِي عَلَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟! قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى))[١].

## التعليق

يلاحظ أنه أورد هذا الحديث هنا للموافقة بينه وبين لفظ الآية، ففي الآية قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، وورد في الحديث قال: ((ونفخ فيك من روحه)).

*****

ثم قال: ((سورة الزمر. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ مُسَاوِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ مَرْوَانَ أَبِي لُبَابَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالزُّمَرَ))[٢].

## التعليق

يلاحظ أن هذا الأثر أيضاً لا علاقة له بالتفسير، ولكنه أورده لمناسبة سورة الزمر.

*****

ثم قال: ((قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾[الزمر:٨]أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ عِيسَى الْحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، يَقُولُ: لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ، يَدْعُونَ لَهُ نِدًّا، ثُمَّ هُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ. قَالَ الْأَعْمَشُ: فَقُلْتُ لَهُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: حَدَّثَنَاهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيُّ عِنْدَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ))[٣].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، ١٠/٢٣٦ (١١٣٧٩).

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، ١٠/٢٣٦ (١١٣٨٠).

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، ١٠/٢٣٧ (١١٣٨١).

**التعليق**

إيراده الحديث هنا للمناسبة بين قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الزمر:٨] وبين ماورد في الحديث.

*****

ثم قال: ((قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠]أَخْبَرَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقُولُ اللهُ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: مَنْ أَذْهَبْتُ كَرِيمَتَيْهِ، فَاحْتَسَبَ وَصَبَرَ؛ لَمْ أَجْعَلْ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ))(١).

**التعليق**

المناسبة هنا أيضاً واضحة بين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠] وبين ما ورد في الحديث.

*****

ثم قال: ((قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر:٣١]أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَمَا نَعْلَمُ فِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر:٣١]،قُلْنَا: مَنْ نُخَاصِمُ، لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ خُصُومَةٌ؟ حَتَّى وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَذَا الَّذِي وَعَدَنَا رَبُّنَا أَنْ نَخْتَصِمَ فِيهِ. قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢] أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَامِلٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ فِي سَفَرٍ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ عَرَّسْتَ بِنَا؟ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا، فَمَنْ يُوقِظُنَا لِلصَّلَاةِ؟ فَقَالَ بِلَالٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَرَّسَ الْقَوْمُ فَاضْطَجَعُوا، وَاسْتَنَدَ بِلَالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَاسْتَيْقَظَ

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، ١٠/٢٣٧ (١١٣٨٢).

رَسُولُ اللهِ وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَالَ: يَا بِلَالُ، أَيْنَ مَا قُلْتَ؟! قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُلْقِيَتْ عَلَيَّ نَوْمَةٌ مَثَلُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ. ثُمَّ أَمَرَهُمْ فَانْتَشَرُوا لِحَاجَتِهِمْ، فَتَوَضَّئُوا وَقَدِ ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ، فَصَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ))[1].

**التعليق**

المناسبة هنا بين الآية وما ورد في الحديث واضحة أيضاً.

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، ٢٣٨/١٠ (١١٣٨٣)، و(١١٣٨٤).

## المبحث الثالث

## الكتب المشاركة في التفسير في القرن الرابع

وفيه خمسة مطالب:-

- المطلب الأول: (معاني القرآن وإعرابه) للزَّجَّاج (ت: ٣١١هـ).
- المطلب الثاني: (أحكام القرآن) للطحاوي (ت: ٣٢١هـ).
- المطلب الثالث: (معاني القرآن) للنحاس (ت: ٣٣٨هـ).
- المطلب الرابع: (ياقوتة الصراط) لغلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ).
- المطلب الخامس: (إعراب القراءات السبع، وعللها) لابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ).

## المطلب الأول: (معاني القرآن وإعرابه) للزَّجّاج (ت: ٣١١هـ)

### التعريف بمؤلف هذا الكتاب:

هو: الإمام، نحوي زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، البغدادي، ولد ببغداد، ومات بها سنة (٣١١هـ).

كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلَّمه المبرد، وطلب عبيد الله بن سليمان -وزير المعتضد العباسي- مؤدباً لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدَّب له ابنه إلى أن ولي الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كُتَّابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة، وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره.

من مؤلفاته: معاني القرآن، والاشتقاق، وخلق الانسان، والأمالي، والفرس، والعروض، والنوادر، وفعلت وأفعلت، والمثلث.[١]

### التعريف بهذا الكتاب وطريقة مؤلفه فيه[٢]:

- **أولاً**: ابتدأ المؤلف في إملاء هذا الكتاب سنة مائتين وخمسة وثمانين (٢٨٥هـ)، وأتمَّه سنة ثلاث مئة وواحد (٣٠١ هـ)، وقد كان نحويّاً لغويّاً، أصوله بصريَّة.

- **ثانياً**: ذكر الزجاج في كتابه أنه سيكتب هذا الكتاب مختصراً في معاني القرآن وإعرابه، ولكن غلب فيه جانب الإعراب على جانب المعاني، ومع ذلك فإن كتابه يُعنى بمعاني القرآن وتفسيرِه أكثر ممن سبقه، ويتبين هذا بمقارنة كتابه بكتاب الفراء (ت: ٢٠٧هـ) أو الأخفش (ت: ٢١٥هـ)، وسبب ذلك أنه اعتمد على تفسير الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، وقد نص الزجاج على هذا[٣]؛ فهو يروي تفسير الإمام أحمد بن حنبل عن ابنه عبدالله.

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات النحويين للزبيدي ١/١١١-١١٢، ومعجم الأدباء لياقوت ١/٥١-٦٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/٣٦٠-٣٦١، طبقات المفسرين للداودي ١/٩.

(٢) ينظر أيضاً: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٣١٤-٣٢٦.

(٣) قال الزجاج: (أكثر ما رَوَيْتُ في هذا الكتاب من التفسير. فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل) (معاني القرآن وإعرابه ٤/١٦٦).

– **ثالثاً**: حرص الزجاج على بيان المعاني اللغوية واشتقاقها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠]، قال: (قال أبو عبيدة: معناه لأهلككم، وحقيقته ولو شاءَ الله لكلفكم ما يشتد عليكم فتعنتون، وأصل العنت في اللغة من قولهم: عنِتَ البعير يعنَت إذا حدث في رجله كسر بعد جبر لا يمكنه معه تصريفها، ويقال أكمة عنوتْ إذا كان لا يمكن أن يُجازيها إلا بمشقة عنيفة)(١).

– **رابعاً**: اعتنى المؤلف بالاستشهاد بالشِّعر –كغيره من اللغويين–، لكن أغلب هذه الشواهد عنده في الجانب النحوي.

– **خامساً**: اعتني المؤلف بالقراءات وتوجيهها، وكثير منها مرتبط بالجانب النحوي –كما سبق ذكره–.

## نموذج من كتاب (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج:

قال المؤلف –رحمه الله–: (روي أن اللَّه –جل ثناؤه– جعل لكل امْرِئ بَيْتاً في الجَنَّةِ وَبَيْتاً في النَّارِ، فمن عَمِلَ عَمَلَ أهلَ النَّارِ؛ وَرِث بيتَه مِنَ الجَنَّةِ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ أهلِ الجَنَّةِ، ومن عَمِلَ عَمَلَ أهْلِ الجَنَّة؛ ورث بيته من النار من عَمِلَ عَمَل أهل النَّارِ. والفِرْدَوْس: أصله رُومِيٌّ أُعْرِب وهو البسْتَان، كذلك جاء في التفسير. وقد قيل إنَّ الفِرْدَوْس يعرفه العَرَب، وسُمِّى الموضِع الذي فيه كرم فردوساً. قال أبو إسحاق: رَوَينا عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبل–رحمه الله–في كتابه كتاب التفسير، وهو ما أجازه لي عبد الله ابنه عنه أن اللَّه–عزَّ وجلَّ–بَنَى جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ لَبِنةً من ذهب ولَبِنةً من فِضةٍ، وجَعَلَ جِبَالها المِسْكَ الأذْفَر. ورَوينَا عن غيره أن اللَّه–جَلَّ ثناؤه–كنس جَنّة الفردَوْسِ بِيدِه، وبناها لبنةً من ذهب مُصَفًّى ولبنةً مِنْ مِسْكٍ مُذَرًّى، وغرس فيها مِنْ جَيّدِ الفَاكِهَةِ وَجَيّد الريْحَانِ)(٢).

### التعليق

من هذا النص يتضح لنا وجود كتاب مسند في التفسير للإمام أحمد –رحمه الله–،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٢٩٤–٢٩٥.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٨.

وبعض العلماء يشكك في هذا، كالإمام الذهبي[1] -مع جلالته وسعة اطلاعه-، لكن هذا النص الذي ذكره الزجاج بالإسناد عن الإمام أحمد ينفي هذا الزعم.

وهذه الآثار التي أوردها الزجاج فيما يتعلق بصفات الله ﷻ فالأصل فيها التوقف حتى يأتي فيها خبر صحيح عن المعصوم ﷺ.

*****

ثم قال المؤلف -رحمه الله-: (قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون:١٢] سُلَالَة: فعالة. فخلق اللّه آدم عليه السلام من طين. وقول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً ﴾ [المؤمنون:١٣] على هذا القول يعني ولد آدم. وقيل من سلالة من طين: من منيّ آدم ﷺ ، وسُلَالَة: القليل فيما ينسل. وكل مبنيً على فُعالة يراد به القليل، فمن ذلك الفُضَالَة، والنُّخَالة، والقُلاَمَة، فعلى هذا قياسه)[2].

(١) قال الذهبي في السير تعليقاً على ذِكر ابن الجوزي تفسيراً للإمام أحمد: (فتفسيره المذكور شيء لا وجود له، ولو وجد؛ لاجتهد الفضلاء في تحصيله) ١١/٣٢٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/٨.

## المطلب الثاني: (أحكام القرآن) للطحاوي (ت: ٢٦٨هـ)

### التعريف بمؤلف هذا الكتاب:

هو: الإمام، العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي.

ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً، ورحل إلى الشام سنة (٢٦٨هـ)؛ فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة سنة (٣٢١هـ).

من مؤلفاته: شرح معاني الآثار، وبيان السنة، وكتاب الشفعة، والمحاضر والسجلات، ومشكل الآثار، وأحكام القرآن، والمختصر -في الفقه-، والاختلاف بين الفقهاء، ومغاني الأخيار في أسماء الرجال ومعاني الآثار، ومناقب أبي حنيفة، وأحكام القرآن، -وهو الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به الآن-[1].

### التعريف بهذا الكتاب وطريقة مؤلفه فيه:

- **أولاً**: طُبع الجزء الموجود من هذا الكتاب في مجلدين، بتحقيق الدكتور: سعد الدين أونال، بتركيا.

- **ثانياً**: رتب المؤلف كتابه على الأبواب الفقهية، فيبتديء بالصلاة، ثم الزكاة، وهكذا.

- **ثالثاً**: اعتمد المؤلف في هذا الكتاب مذهب أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ)، واعتنى بذكر أقوال صاحبيه.

- **رابعاً**: عَمَد المؤلف في هذا الكتاب إلى الموازنة بين المذهب الحنفي وبين أقوال العلماء الآخرين، ثم قام بترجيح المذهب الحنفي، فكتابه قائم على الاحتجاج للمذهب الحنفي.

---

(١) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات لابن خلّكان ٨/٧-٨، الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر الحنفي ١/١٠٢-١٠٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/٢٧-٣٣، وطبقات المفسرين للداودي ١/٧٤.

– **خامساً**: اعتنى المؤلف بإيراد آثار السلف مسندةً –كعادته في كتبه–، وكتابه مليء بآثار السلف.

– **سادساً**: اعتنى المؤلف كثيراً بإيراد القواعد العلمية، وطرق الاحتجاج، وهذا مما يتميز به الإمام الطحاوي في عامة كتبه التي يذكر فيها الخلاف نحو (مشكل الآثار) وغيره.

## نموذج من كتاب (أحكام القرآن) للطحاوي:

قال المؤلف–رحمه الله–: (تأويل قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]. فَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا عَزَّ وَجَلَّ مَا الْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هَلْ هُوَ الصَّلَاةُ فِي عَيْنِهَا أَوْ مَوْضِعُ الصَّلَاةِ الَّذِي يُصَلَّى فِيهِ مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْمُصَلَّى؟)[1].

### التعليق

يلاحظ أنه أورد الآية، ثم أورد الإشكال العلمي التي سيناقشه.

*****

ثم قال: (فَنَظَرْنَا فِي ذَلِكَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَدْ حَدَّثَنَا، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَلَمَةَ، عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]، قَالَ: النَّوْمُ. وَهَذَا الْقَوْلُ فَلَمْ نَعْلَمْهُ رُوِيَ عَنْ غَيْرِ الضَّحَّاكِ فِي هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّ النَّهْيَ الَّذِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَقَعَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي عَيْنِهَا، وَقَدْ رُوِيَ فِي تَأْوِيلِهَا وَجْهٌ غَيْرُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ حَدَّثَنَا، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيّ، قَالَ: دَعَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلِيًّا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَأَصَابُوا مِنَ الْخَمْرِ، فَقَدَّمُوا عَلِيًّا فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ فَقَرَأَ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١] فَخَلَطَ فِيهَا فَنَزَلَتْ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء:٤٣]. فَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَى

(١) أحكام القرآن للطحاوي ١/١١٢.

السُّكْرِ مِنَ الشَّرَابِ، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَالنَّهْيُ الَّذِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي عَيْنِهَا وَقَدْ رُوِيَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضًا مَا حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ الْمُرَادِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ؛ قَالَ: اللهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة:٢١٩]، فَدَعَا عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء:٤٣] وَكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ؛ نَادَى: لَا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سَكْرَانٌ. فَدَعَا عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمَائِدَةِ، فَدَعَا عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩١]، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: انْتَهَيْنَا. فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَيْضًا مِثْلُ مَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَأَنَّ السُّكْرَ الْمُرَادَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ السُّكْرُ مِنَ الْخَمْرِ، وَأَنَّ النَّهْيَ الَّذِي فِيهَا وَقَعَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي عَيْنِهَا، وَكَانَ خَبَرُ عُمَرَ لِاتِّصَالِهِ أَوْلَى مِمَّا رَوَيْنَاهُ عَنِ الضَّحَّاكِ، وَفِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ نَسْخٌ لِهَذَا الْمَعْنَى فِي خَبَرِ عُمَرَ الَّذِي رَوَيْنَاهُ وَفِي هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَلَّا يَقْرَبَ الصَّلَاةَ مَعَ شَاغِلٍ لَهُ عَنْهَا، لِتَكُونَ الصَّلَاةُ إِذَا دَخَلَ فِيهَا هَمَّهُ، لَا هَمَّ لَهُ غَيْرُهَا، وَلَا شَاغِلَ لَهُ عَنْهَا)(١).

## التعليق

هذه أحد لطائف هذا الكتاب، وفي مواطن غيرها نجده يورد قول الأحناف، لكن هذه القضية ليس لها علاقة بالأحناف، إذ ليس فيها خلاف، وما أورده هنا عن الضحاك يدخل في ترجيحه الأخير، لكن الآية نزلت بشأن السكر من الخمر، وقول الضحاك صحيحٌ ومعتبرٌ، والخلاف معه في كون الآية نزلت في الخمر أم النوم.

ونلاحظ أنه ذكر كذلك جملة من الفوائد، والإمام الطحاوي يعتبر من الأئمة الأعلام الذين يحسن القراءة لهم، ومعرفة مناهجهم في الترجيح والتعليل.

---

(١) أحكام القرآن للطحاوي ١/١١٣.

**تنبيه:** ذكر بعض من قدَّم لهذا الكتاب، أنه يضارع تفسير ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، لكن الحقيقة أن ثمت فرقاً كبيراً بينهما، وإن كانت طريقة عرضه للأقوال تشبه طريقة ابن جرير، لكن ابن جرير كان فريداً في هذا الباب.

********

## المطلب الثالث: (معاني القرآن) للنحاس (ت: ٣٣٨هـ)

### التعريف بمؤلف هذا الكتاب:

هو: العلامة، إمام العربية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، الأديب، ولد بمصر، وتوفي بها سنة (٣٣٨هـ)، كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري، وزار العراق واجتمع بعلمائه.

من مؤلفاته: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، وتفسير أبيات سيبويه، وناسخ القرآن ومنسوخه، وشرح المعلقات السبع، ومعاني القرآن، -وهو الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به الآن-(١).

### التعريف بهذا الكتاب وطريقة مؤلفه فيه:

- **أولاً**: يعد هذا الكتاب من أنفس كتب معانى القرآن، وأقربها إلى علم التفسير.
- **ثانياً**: يتميز هذا الكتاب بكثرة النقل عن السلف، فالمنقول عن ابن عباس فيه قرابة ستمائة (٦٠٠) قولٍ، والمنقول عن مجاهد قرابة خمسمائة (٥٠٠) قولٍ، والمنقول عن قتادة قرابة ستمائة وثمانين (٦٨٠) قولاً، والمنقول عن الحسن قرابة ثلاثمائة وواحد وثلاثين (٣٣١) قولاً، والمنقول عن عكرمة قرابة مائةٍ وأربعةٍ وسبعين (١٧٤) قولاً، والمنقول عن الضحاك قرابة مائتين وثلاثة وثلاثين (٢٣٣) قولاً، فمؤلفه مكثر جداً من النقل عن السلف وغيرهم دون ذكر للأسانيد.
- **ثالثاً**: نقل المؤلف في هذا الكتاب أيضاً عن كثير من اللغويين، أمثال الكسائي (ت: ١١٩هـ)، وقطرب (ت: ٢٠٦هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت: ٢٥٠هـ)، والمبرد (ت: ٢١٠هـ)، وثعلب (ت: ٣٤٥هـ)، وابن كيسان (ت: ٢٩٩هـ)، ولكن إذا وازنَّا -من حيث العدد- بين ما نقله عن اللغويين وبين ما نقله عن السلف فإن ما نقله عن السلف أكثر وأغزر، ولهذا قلنا إن هذا الكتاب أقرب كتب المعاني إلى التفسير.

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات النحويين للزبيدي ١/٢٢٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/٤٠١-٤٠٢، وبغية الوعاة للسيوطي ١/٣٦٢، وطبقات المفسرين للداودي ١/٦٨.

– **رابعاً**: أجاد المؤلف في تنظيمه وترتيبه لهذا الكتاب، وهذه سمة ظاهرة عند أبي جعفر النحاس –رحمه الله– في جميع كتبه.

– **خامساً**: أودع أبو جعفر في هذا الكتاب نفائس كثيرة مما يتعلق بالغريب والمعاني، وله تعليقات نفيسة على بعض التفاسير.

– **سادساً**: يعتنى المؤلف بذكر القراءات وتوجيهها.

– **سابعاً**: يرجّحِ المؤلف –رحمه الله– بين الأقاويل كثيراً، فقد كان صاحب رأى مستقل، سواء في هذا الكتاب أو في سائر كتبه نحو: (إعراب القرآن)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(القطع والإئتناف)، فكلها مليئة بآرائه الخاصة.

ومن أمثلة ما رجح فيه بين الأقوال ما ذكره عند قول الله ﷻ: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد:٦]قال: (قال مجاهد يعني: الأمثال. وقال قتادة يعني: العقوبات. قال أبو جعفر: وهذا القول أولى لأنه معروف في اللغة أن يقال للعقوبة الشديدة مِثْلَة ومَثُلَة)[١].

– **ثامناً**: استفاد أبو جعفر النحاس –رحمه الله– في هذا الكتاب من الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله–كثيراً، سواء في مروياته، أو في ترجيحاته وتعليلاته، والأمثلة على ذلك في كتابه كثيرة جداً.

ومن أمثلة ما استفاده من مرويات الإمام ابن جرير؛ قوله: (قال أبو جعفر: وذكر محمد بن جرير أن ابن وكيع حدثهم عن أبيه عن شريك عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أن الأزلام حصىً بِيْضٌ كانوا يضربون بها. قال محمد بن جرير: قال لنا سفيان بن وكيع: هي الشَّطَرَنْج)[٢].

ومن أمثلة ما استفاده من ترجيحات الإمام ابن جرير؛ قوله: (وقوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال؛ أحدها أنه روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((لينزلن ابن

(١) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ٤٧٢/٣.

(٢) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ٢٦٠/٢.

مريم حكماً عدلاً، فليقتلن الدجال، وليقتلن الخنزير، وليكسرن الصليب، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين))، ثم قال أبو هريرة ﷺ: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩] قال أبو هريرة ﷺ: قبل موت عيسى -يعيدها ثلاث مرات-، وقال قتادة قبل موته: قبل موت عيسى، وقال ابن عباس ﷺ قبل موته: قبل موت الذي من أهل الكتاب، وقال بهذا القول الحسن وعكرمة، وهذا القول رواه عن ابن عباس: عكرمة، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن معنى قبل موته قبل موت عيسى ﷺ، وقال غير هؤلاء: المعنى: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موته، وهذه الأقوال غير متناقضة لأنه يتبين عند موته الحق فيؤمن حين لا ينفعه الإيمان. قال محمد بن جرير: أولى هذه الأقوال بالصواب والصحة قول من قال: تأويل ذلك إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وأن ذلك في خاصٍ من أهل الكتاب، ومعني به أهل زمان منهم دون أهل كل الأزمنة التي كانت بعد عيسى، وإن ذلك عند نزوله، ولم يجر لمحمد ﷺ في الآيات التي قبل ذلك ذكر فيجوز صرف الهاء التي في ليؤمنن به إلى أنها من ذكره، وإنما ليؤمنن به في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود)[١].

- **تاسعاً**: يعرض المؤلف للمشكلات التفسيرية ويناقشها، والأمثلة على ذلك في كتابة كثيرة جداً.

- **عاشراً**: يعد هذا الكتاب من المراجع المهمة، ويصلح أيضاً للقراءة والاستفادة منه.

### نموذج من كتاب (معاني القرآن) لأبي جعفر النحاس:

قال -رحمه الله -: (ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف:٨٥] قال ابن جريج عن مجاهد: أي دون الموت، وقال الضحاك أي: بالياً مبراً، والقولان متقاربان، يقال أحرضه المرض فحرض ويحرض إذا دام سقمه وبلي، قال الفراء: الحارض = الفاسد الجسم والعقل وكذلك الحرض، وقال أبو عبيدة: الحرض الذي قد أذابه الحزن، وقال غيره منه حرضت فلانا أي أفسدت قلبه. ثم قال تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ وقال الضحاك أي:

(١) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ٢/٢٣٥، وينظر: جامع البيان للطبري ٩/٣٨٨.

من الميتين، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]والبث أشد من الحزن، قال قتادة: ولا تيأسوا من روح الله أي من رحمته. وقوله ﷻ: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ﴾ [يوسف:٨٨] وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال: أي ورق رديئة لا تجوز إلا بوضيعة، وقال مجاهد: أي قليلة، وقال قتادة: أي يسيرة، وقال عبد الله بن الحارث: كان معهم متاع الأعراب من سمن وصوف وما أشبههما، وهذه الأقوال متقاربة وأصله من التزجية، وهي الدفع والسوق، يقال فلان يزجي العيس أي: يدفع، والمعنى: أنها بضاعة تدفع ولا يقبلها كل أحد، واحتج مالك بقوله ﷻ: ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ [يوسف:٨٨] في أن أجرة الكيال والوزان على البايع. وقوله ﷻ ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف:٩٢]، التثريب: التعيير واللوم وإفساد الأمر، ومنه ثربت أمره أي: أفسدته، ومنه الحديث: إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب. أي: ولا يعيرها بالزنا)[1].

**التعليق**

يسير الكتاب على المنهج، من حسن الترتيب، وذكر الأقاويل بهذه الصورة، وكما قلنا سابقاً، فهو كتاب مفيد جدًا، وصالحٌ للقراءة، -وإن لم تكن فيه المنهجية المتكاملة للتفسير- .

*******

(١) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ٣/٤٥٤.

## المطلب الرابع: (ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن) لغلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ)

### التعريف بمؤلف هذا الكتاب:

هو: الإمام الأوحد، العلامة، اللغوي، المحدث، أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البغدادي، الزاهد، المعروف: بـ (غلام ثعلب)، ولد سنة (٢٦١هـ).

كانت صناعته تطريز الثياب، ونسبته إلى (باورد)، وهي أبيورد بخراسان، صحب ثعلباً النحوي زماناً حتى لقب (غلام ثعلب).

أكثر من التأليف، ومن مؤلفاته: الياقوتة رسالة في غريب القرآن فضائل معاوية، وغريب الحديث، وجزء في الحديث والأدب، وتفسير أسماء الشعراء، والمداخل -في اللغة-، والقبائل، ويوم وليلة، وأخبار العرب، والعشرات، وياقوتة الصراط -في غريب القرآن-، وهو الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به الآن، وكانت وفاته ببغداد سنة (٣٤٥هـ)(١).

### التعريف بهذا الكتاب وطريقة مؤلفه فيه:

- **أولاً**: يعد هذا الكتاب من الكتب المختصرة جداً، وقد رتَّبه المؤلف على سور القرآن.

- **ثانياً**: اعتنى المؤلف بنقل بعض التفسيرات عن أشياخه كابن الأعرابي (ت: ٢٣١هـ)، وثعلب (ت: ٣٤٥هـ)، والمبرد (ت: ٢٨٦هـ)، وتعتبر نقولات هؤلاء الأعلام من اللغويين ميزة مهمة لهذا الكتاب.

ومن أمثلة هذه النقولات ما ذكره عند قول الله ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة:١١١]، قال: (قال ابن الأعرابي: يقال: ليس في الكرام أكرم ممن يشتري من عبده ما وهبه له، والله ﷻ أكرم الأكرمين، اشترى من عبيده أنفسهم،

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت ٦/٢٥٥٦-، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/٥٠٨-٥١٣، ووفيات الأعيان لابن خلِّكان ٤/٣٢٩-٣٣٣، ومعجم المفسرين لعادل نويهض ٢/٥٦٧-٥٦٨.

وأنفسهم ملكه دونهم واشترى منهم أموالهم، وهي منه نعم عليهم، فهذه صفة من الكرم لا يقدر عليها أحد غيره ﷻ)[1].

– **رابعاً**: يورد المؤلف الخلافات الواردة في التفسير بقِلَّةٍ، ومثال ذلك ما أورده عند لفظ (قسورة) قال: (قال ثعلب: اختلف الناس فيه، فقالت طائفة: القسورة هاهنا: الأسد، وقالت طائفة: الرُّمَاة، وقالت طائفة: سَوَاد أول الليل، ولا يقال لسواد آخر الليل: قسورة)[2].

– **خامساً**: يقل الاستشهاد بالشعر في هذا الكتاب، مع أنه في غريب القرآن؛ فكان المتوقع أن يكثر في الاستشهاد من الشعر، لكنه أتى على خلاف ذلك، حتى إن عدد الشواهد الشعرية في كتابه لم تتجاوز الستة.

### نموذج من كتاب (ياقوتة الصراط) لغلام ثعلب:

قال المؤلف –رحمه الله–: (﴿تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ [الرعد:٨]أي: تنقص من دم الحيض. ﴿وَمَا تَزۡدَادُ﴾ [الرعد:٨] أي: من دم الحيض. ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١] قال أبو عبد الله: يحفظهم له من أمر الله، كأنه أمرهم بأن يحفظوا العبد. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣]قال: والمحال: المكر، والمكر من الله ﷻ: التدبير بالحق. ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [الرعد:١٤]قال: معناه: أن يأتي إلى بئر فيها ماء لا ينال إلا بحبل ودلو، فيمد هو يده إلى الماء، فلا يقدر عليه، فضربه الله مثلاً للكفار. ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد:٢٢]أي: يدفعون بالتوبة والطاعة)[3].

#### التعليق

يسير الكتاب على هذا المنهج، ويلاحظ أنه قائم على بيان المفردات، مع الإيجاز، وهو مطبوعٌ في مجلد واحد، وقد اعتنى المحقق بإخراجه، وحرفُهُ أيضًا في الإخراج كبير، ولو كانت

---

(١) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب، ص: ٢٤٨.

(٢) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب، ص: ٥٤٢.

(٣) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب، ص: ٢٨١.

طباعته بحرفٍ معتدلٍ مع تقليل الحواشي؛ لخرج في كُتَيِّبٍ صغير جداً.

*******

## المطلب الخامس: (إعراب القراءات السبع وعللها) لابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)

### التعريف بمؤلف هذا الكتاب:

هو: إمام اللغة والعربية وغيرهما من العلوم الأدبية، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن خالويه، أصله من همذان، زار اليمن وأقام بذمار مدةً، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب، وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة، وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده، وتوفي في حلب سنة (٣٧٠هـ).

من مؤلفاته: شرح مقصورة ابن دريد، ومختصر في شواذ القرآن، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز، والاشتقاق، والجمل -في النحو-، والمقصور والممدود والبديع، وكانت وفاته سنة (٣٧٠هـ)[١].

### التعريف بهذا الكتاب وطريقة مؤلفه فيه:

- **أولاً**: هذا الكتاب من أنفع الكتب المؤلَّفة في عِلَل القراءات، ولذلك اخترته من بينها، فهناك (الحُجَّة) لأبي علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، و(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها) لابن جِنّي (ت: ٣٩٢هـ)، ولكن كتاب ابن خالويه أكثرها فائدة؛ سواء في التجويد، أو في الإعراب، أو في الصوتيات، أو المعاني، والذي يهمنا هنا جانب المعاني.

- **ثانياً**: ذكر المؤلف منهجه في مقدمة كتابه، وملخص ما ذكره:

أ- أن كتابه شرحٌ لإعراب قراءات أهل الأمصار؛ (مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، والشام).

ب- أنه لن يعدو إلى ما يتصل بالإعراب من مشكلٍ، وتفسيرٍ، وغريبٍ، ولا للشاذ من القراءات؛ وذلك لأن له كتابٌ مستقلٌ في القراءات الشاذة، ومع ذلك فإن كتابه لا يخلو من إيراد بعض القراءات الشاذة والتعليق عليها، لكنها ليست مقصودة قصداً أوليّاً.

---

(١) انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ١/١١٢-، ووفيات الأعيان لابن خلِّكان ٢/١٧٨-١٧٩، ومعجم الأدباء لياقوت ٣/١٠٣٠-١٠٣٧، وطبقات المفسرين للداودي ١/١٥٠.

ت- ذَكر في مقدَّمة كتابه: القُرَّاء، وطريقة أدائهم، وأسانيدهم، ثم ذكر الأئمة الذين أخذ عنهم القراءات السبع، وقد اعتمد على سبعة ابن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، وابن مجاهد شيخه مباشرة، فهو يروي عنه قضايا قرائية في الكتاب، كما ذكر جملًا مما يتعلق بالاختلاف في القراءة.

ث- ذَكر فَصْلاً نافعاً في الحَثِّ على تعلُّم العربية، ثم سرد بعد ذلك الأحرف المختلف في قراءتها مبتدءاً بسورة الفاتحة، مختتماً بسورة الناس.

– **ثانياً**: يعتبر هذا الكتاب من كتب توجيه القراءات، سواء ما يرتبط بالمعنى والتفسير، أو ما يرتبط بالأداء والتصريف، أو ما يرتبط باللغة والنحو.

– **ثالثاً**: اعتنى بالشواهد الشعرية في كتابه بصورة جليَّة، سواء في الاستشهاد للمعاني، أو لقضايا القراءة ومسائل النحو.

– **رابعاً**: يظهر منهج الاحتجاج للقراءة في هذا الكتاب بصورة جيدة، وهذه القضية من القضايا المهمة التي تحتاج إلى مزيد من البحث، ولا تزال الكتابة فيها قليلة.

ومن أمثلة ذلك عند المؤلف ما أورده عند قوله ﷻ: ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ﴾ [التحريم:٣]، قال: (قرأ الكسائي وحده: ﴿عَرَفَ﴾، واحتجَّ بأن أبا عبد الرحمن السلمي كان إذا سمع رجل قرأ: ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ﴾ [التحريم:٣] بالتشديد؛ حَصَبه. ومعنى: ﴿عَرَفَ﴾: غضب من ذلك وجازى عليه حين طلق حفصة تطليقة، وهذا كما تقول للرجل يسيء إليك: أما والله لأعرفن ذلك من باب التوعد، وقرأ الباقون عرَّف بالتشديد، ومعناه عرف حفصة بعض الحديث وأعرض عن بعض. قال أبو عبيد: لو كان عرف بالتخفيف؛ لكان عرف بعضه وأنكر بعضه)[١].

## التعليق

يلاحظ -كما ذكرنا- أن الكتاب فيه كثيرٌ من قضايا الاحتجاج، وطرائق العلماء فيه.

---

(١) إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه ٣٧٥/٢.

وفي هذا النقل نجد أبا عبد الرحمن السلمي (ت: ٧٤هـ) -وهو من التابعين-، ينكر على من يقرأ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ -بتشديد الراء-، مع أن القُرَّاء السبعة قرأوها هكذا بالتشديد سوى الكسائي فقرأها وحده بالتخفيف(١)، والمقصود هنا أن ننتبه إلى أن قضية الاعتراض على بعض القراءات قضيةٌ قديمةٌ، وتحتاج إلى بحث مستقل.

(١) ينظر: السبعة لابن مجاهد ص: ٦٤٠، والتيسير للداني ص: ٢١٢، والنشر لابن الجزري ١٩٤٢/٥.

# الفصل الخامس

# [[ تدوين التفسير في القرن الخامس ]]

وفيه مبحث واحد، **كتب التفسير في القرن الخامس**:

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: (الكشف والبيان في تفسير القرآن) للثعلبي (ت: ٤٢٧هـ).
- المطلب الثاني: (النكت والعيون) للماوردي (ت: ٤٥٠هـ).
- المطلب الثالث: (الوسيط) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ).
- المطلب الرابع: (الوجيز) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

## المطلب الأول: (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) للثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)

### التعريف بمؤلف هذا الكتاب:

هو: الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ التفسير، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسرٌ، من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ، توفي سنة (٤٢٧هـ).

من مؤلفاته: عرائس المجالس، والكشف والبيان في تفسير القرآن،-وهو الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به الآن[١].

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

- **أولاً**: هذا الكتاب من الكتب المشهورة في التفسير، وقد نقل منه العلماء واستفادوا منه، ولكنه طبع عام ١٤٢٢هـ في دار إحياء التراث العربي، بتحقيق مجموعة من الرافضة، والسبب في ذلك -فيما يبدو لي-: إيراد الثعلبي للأحاديث الضعيفة الكثيرة في فضائل على بن أبي طالب ﵁، وقد اعتمد جمال الدين الحسن ابن المطهر الحِلِّي (ت: ٧٢٦هـ) في كتابه: (منهاج الكرامة في إثبات الإمامة) على مثل تفسير الثعلبي في نقل بعض الفاضائل المزعومة لعليِّ بن أبي طالب[٢]، ومعلوم أننا لسنا بحاجة إلى هذه النقول المتهافتة في فضائل عليٍّ ﵁، لأن فضائله معروفة ومشهورة.

والمقصود أن الكتاب قد حُقق من قبل هؤلاء الرافضة، ويظهر من التحقيق عدم علمهم بالأسانيد، ولا بأعلام السنة والعلماء المشهورين، حتى إنهم حرفوا اسم (المؤرّج) بالجيم -عالم اللغة المشهور- إلى (المؤرخ) -بالخاء- في جميع المواضع بالكتاب، فإذا كان خطأهم في أسماء الأعلام المشهورين؛ فتحريفهم لغيرهم من باب أولى، هذا بالإضافة إلى بعض التعليقات التي تنبيء عن رافضية هؤلاء المحققين، خاصةً فيما يتعلق بالفضائل المزعومة لعليٍّ ﵁، وحَشَوه كذلك ببعض مصادرهم التي لا يعرفها إلا من لديه خبرة بمصادر هؤلاء القوم، فهذا التحقيق

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت، ٢/٥٠٧-، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/٤٣٥-٤٣٧، وطبقات المفسرين للسيوطي ١/٢٨.

(٢) ينظر أمثلة ذلك: من كتاب منهاج الكرامة، ص: ٨٩، و١١٦، و١١٧، وغيرها.

لا يعتمد عليه.

– **ثانياً:** ابتدأ المؤلف كتابه بمقدمةٍ حافلةٍ ونافعة، بيَّن فيها منهجه، وذكر معلومات نفسية تتعلق بتاريخ التفسير، وكتبه، وبعض الكتب المفقودة من كتب اللغويين الذين شاركوا في علم التفسير، وملخص ما ذكره في هذه المقدمة ما يلي:

أ- أصناف الذين ألَّفوا في التفسير قبله؛ فقال: (فألفيت المصنفين في هذا الباب فرقاً على طرق؛ فرقة منهم أهل البدع والأهواء، وفرقة المسالك والآراء مثل البلخي، والجبائي، والأصفهاني، والرماني، وقد أمرنا بمجانبتهم وترك مخالطتهم، ونهينا عن الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم فاختاروا ممن تأخذون دينكم، وفرقة ألفوا وقد أحسنوا غير أنهم خلطوا أباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين، فجمعوا بين الدُّرَّة والبَعْرة، عثرة وغفلة، لا عقداً ونيةً، مثل أبي بكر القفال، وأبي حامد المقري، وهما من الفقهاء الكبار، والعلماء الخيار، ولكن لم يكن التفسير حرفتهم، ولا علم التأويل صنعتهم، ولكن لكل عمل رجال، ولكل مقام مقال)[1].

**التعليق**

على الرغم من أن الثعلبي -رحمه الله تعالى- موصوف بهذا الشيء الذي ذكره عن غيره، حيث أنه نقل الغث والسمين، لكن يبقى له علمه وجلالته، لكنه -كما سيأتي بعد قليل- لم يكن إلا مجرد ناقل، لم يسلم من ما اعترض به على من سبقه.

ثم قال: (وفرقة اقتصروا على الرواة والنقل دون الدراية والنقد مثل الشيخين أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأنماطي، وبياع الدواء محتاج إلى الأطباء. وفرقة حرموا الأسناد الذي هو الركن والعماد، وتملكوا الصحف والدفاتر وجهدوا على ما هو بين الخواطر، وذكروا الغث والسمين، والركيك والمتين، وليسوا في عداد العلماء، فصنت الكتاب عن فكرهم، والقراءة والعلم سنة يأخذها الأصاغر عن الأكابر، ولولا الإسناد؛ لقال من شاء ما شاء. وفرقة حازوا قصب السبق في عمدة التصنيف والحذق، غير أنهم طولوا كتبهم بالمعادات، وكثرة الطرق والروايات، وحشوها بما منه بد، فقطعوا عنها طمع

(١) مقدمة المؤلف لكتابه الكشف والبيان ١/٧٤.

المسترشد؛ مثل الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وشيخنا أبي محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني، وازدحام العلوم مضلة للفهوم. وفرقة جردوا التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال من الحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايخ السلف الصالحين، والعلماء القدماء من التابعين وأتباعهم مثل مجاهد ومقاتل، والكلبي، والسدي، ولكل من أهل الحق فيه غرض محمود وسعي مشكور)[1].

**التعليق**

كأن الثعلبي –رحمه الله– أراد بذكره لهذه الأصناف أن يبعد عن تفسيره هذه العيوب، ولكنه وقع في كثير مما انتقده على المفسرين قبله، فجاء في كتابه الغث والثمين كما قال شيخ الإسلام في مقدمته في أصول التفسير: (والثعلبي هو نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليلٍ، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع)[2].

ب- أسباب تأليفه لهذا الكتاب، فقال: (فلما لم أعثر في هذا الشأن على كتاب جامعٍ مهذَّبٍ يعتمد في علم القرآن عليه، ورأيت رغبة الناس عن هذا العلم ظاهرة، وهممهم عن البحث فيه قاصرة، وطباعهم عن النظر في البسائط نافرة، وانضاف إلى ذلك سؤال قوم من المبرزين، والعلماء المحصلين، والرؤساء)[3].

ج- ذكر أنه استخرج كتابه من زهاء مائة كتاب من مسموعات وما التقطه من التعليقات والأجزاء المتفرقات، وما تلقفه من أفواه المشايخ الأثبات، وهم قريب من ثلاث مئة شيخ، وكثرة مصادره تعتبر ميزة مهمة في هذا الكتاب.

ح- ذكر جملة من علوم القرآن التي سيوردها في كتابه وهي: (البسائط والمقدمات، والعدد والتنزيلات، والقصص والروايات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير

---

(١) مقدمة المؤلف لكتابه الكشف والبيان ١/٧٤.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٣٥٤.

(٣) مقدمة المؤلف لكتابه الكشف والبيان ١/٧٤.

والتـأويلات، والمعـاني والجهـات، والغـوامض والمشـكلات، والأحكـام الفقهيـات، والحكـم والإشـارات، والفضـائل والكرامـات، والأخبـار والمتعلقات)[1].

خ- ذكر أسانيده إلى من يروي عنهم التفسير من علماء السلف، فمثلًا: تفسير ابن عباس ذكر له طريق الوالبي والعوفي والضحاك وعكرمة والكلبي، فهذه خمسة طرق لابن عباس ذكر كل واحد منها بإسنادها، كذلك تفسير مجاهد من طريق ابن أبي نجيح وابن جريج ،وكذلك تفسير الضحاك من طريق جويبر وعلي بن الحكم وعبيدة السلماني وأبي روق عطية بن الحارث، واكتفى بذلك عن ذكرها في أثناء الكتاب، ولعله صنع هذا حتى لا يقع فيما وقع فيه الطبري -كما ذكر ذلك عند كلامه على أصناف المفسرين سابقاً-، لكن تقع إشكالية في عدم ذكر الثعلبي للأسانيد أثناء الكتاب، فعلى سبيل المثال؛ أنه ذكر لابن عباس ﷺ في المقدمة خمسة أسانيد، ومعلوم أن رواية الكلبي عن ابن عباس ﷺ غير مقبولة، فإذا جاء قول لابن عباسﷺ أثناء الكتاب؛ كيف نعرف طريقه لنقبله أو نرده؟ إلا إذاقال: الكلبي عن ابن عباس، لكنه غالباً لا يشير إلى ذلك.

د- ومن الكتب التي نقل منها تفسير أبي سعيد عبد الله بن سعيد الأشج، وهذا الكتاب ليس فيه كل أقوال الأشج، وإنما يشمل جزءاً من مرويات الأشج، ولذا فإن فيه روايات عن ابن عباس، ومجاهد، و كرمة، والضحاك، فهو كتاب جامع، والمقصود أن هذه المصادر التي رجع إليها غنية بمرويات السلف وقد بلغت أربعة وثلاثين (٣٤)كتاباً، كما أنه رجع إلى بعض التفاسير المعاصرة له، كتفسير عبد الله بن حامد، وتفسير أبي عمرو الفراتي -الملقب بالبستاني-.

---

(١) مقدمة المؤلف لكتابه الكشف والبيان ١/٧٥.

ذ- ثم ذكر بعد ذلك بعض الأبواب القصار في موضوعات تتعلق بفضل القرآن وأهله تلاوته، وفضل علم القرآن، ومعنى التفسير والتأويل، ثم ابتدأ بتفسير سورة بالفاتحة حتى ختم سورة الناس.

ويمكن أن نلخص قيمة هذا الكتاب في النقاط التالية باختصار:

١- كثرة المصادر وتنوعها.

٢- كثرة التفسير المأثور عن السلف -وإن كان فيها إشكال من جهة الإسناد-.

٣- نقل المؤلف عن كتب مفقودة بالنسبة لنا، كالمؤرّج.

وهذه المقدمة التي ذكرها في كتابه، لو أُخرجت مفردةً، وعُلق عليها لوجد فيها الكثير من الفوائد، لكن بقى أن مؤلف هذا الكتاب-كما ذكر شيخ الإسلام- كان حاطب ليلٍ؛ فقد روى كثيراً من الأباطيل، ونقل أيضاً عن بعض أهل البدع كالصوفية، وهذا يظهر في نقوله من حقائق التأويل لأبي عبد الرحمن السلمي.

يقول عنه شيخ الإسلام -في معرض حديثه عن الحِلِّى-: (وأما ما نقله من تفسير الثعلبي فقد أجمع أهل العلم بالحديث أن الثعلبي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعات كالحديث الذي يرويه في أول كل سورةٍ عن أبي أمامة في فضل تلك السورة، وكأمثال ذلك، ولهذا يقولون هو كحاطب ليلٍ، وهكذا الواحدي تلميذه وأمثالهما من المفسرين زيادة ينقلون الصحيح والضعيف. ولهذا لما كان البغوي عالماً بالحديث أعلم به من الثعلبي والواحدي، وكان تفسيره مختصر تفسير الثعلبي لم يذكر في تفسيره شيئاً من الأحاديث الموضوعة التي يرويها الثعلبي، ولا ذكر تفاسير أهل البدع التي ذكرها الثعلبي، مع أن الثعلبي فيه خير ودين، لكنه لا خبرة له بالصحيح من الأحاديث زيادة، ولا يميز بين السنة والبدعة في كثير من الأقوال)[1].

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٥/٧.

والخلاصة أن الثعلبي يروي الموضوعات والأباطيل في التفسير والمرويات الحديثية الخاصة بفضائل السور، وكذلك نقل عن بعض أهل البدع، وخصوصًا عن الصوفية؛ لأنه نقل من كتاب حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي (ت: ٤٧٤هـ)، ولا يميز بين الصحيح والضعيف.

ومع ذلك كان كما يقول شيخ الإسلام: (فيه خير ودين)، وهذا من إنزال الناس منازلهم، فلا يلزم من كلامنا عن كتاب وبيان خطئه؛ أن نذم صاحبه ونهضمه حقه، والإنصاف عزيز -كما قيل-.

- **ثالثاً**: وهذا الكتاب لا يستفيد منه إلا الباحثون، ولا يصلح للقراءة، لا في القراءة الابتدائية ولا في غيرها؛ لأنه كتاب أشبه بأن يكون مرجعاً، فهو يقع في عشر مجلدات، وإخراجه لا بأس به، لكن تبقى الإشكالية في أنني لا أستبعد أن يكون فيه تحريفات كثيرة.

- **رابعاً**: وقد استفاد من هذا الكتاب جمهورٌ ممن جاءوا بعده، منهم تلميذه الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، فهو ينقل عن الثعلبي كثيراً خاصة في كتابه (التفسير البسيط)، وكذلك البغوي، اختصر تفسير الثعلبي، والخازن (ت: ٧٤١هـ) لأنه اختصر تفسير البغوي، واستفاد منه كذلك: الماوردي (ت: ٥٤٠هـ)، والسمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، والقرطبي (ت: ٦٧١هـ)، وابن عطية (ت: ٥٤٢هـ)، وابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، وغيرهم.

## نموذج من كتاب (الكشف والبيان) للثعلبي:

قال المؤلف -رحمه الله-: (إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ أي فلق الحب عن النبات، ومخرج منها الزرع وشاق النوى عن الشجر والنخل ومخرجها منها. وقال مجاهد: يعني الشقين الذين عناهما. وقال الضحاك: فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى، الحب جمع الحبة وهي كل ما لم يكن لها نواة مثل البر والشعير والذرة والحبوب كلها. والنوى جمع النواة وهي كل ما يكون له حب مثل الخوخ والمشمش والتمر والإجاص ونحوها. يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ تصدون عن الحق فالِقُ الْإِصْباحِ شاق عمود الصبح من ظلمة الليل وكاشفه. وقال الضحاك: خالق النهار، والأصباح مصدر كالإقبال والإدبار وهي الإضاءة. وقرأ الحسن والقيسي: فالِقُ الْأَصْباحِ بفتح الهمزة جعله جمع مثل قرص وأقراص. وجاعل الليل سكنا

سكن فيه خلقه. وقرأ النخعي: فلق الأصباح وجعل الليل سكنا. وقرأ أهل الكوفة: فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً على الفعل اتباعا للمصحف. وقرأ الباقون: كلاهما بالألف على الإسم)[(١)].

## نموذج آخر من كتاب (الكشف والبيان) للثعلبي:

قال -رحمه الله-: (﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص:٥٦]أي من أحببت هدايته، وقيل: من أحببته، نزلت في أبي طالب. حدّثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي- إملاء- قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن بشر، قال: حدّثنا يحيى بن سعيد، عن زيد بن كيسان، قال: حدّثني أبو حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمّه: قل لا إله إلّا الله أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيّرني نساء قريش يقلن: إنه حمله على ذلك الجزع؛ لأقررت بها عينك، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[القصص:٥٦])[(٢)].

### التعليق

يتبين من الأثر الذي أورده الثعلبي هنا أن أبا طالب عمَّ النبي ﷺ لم يسلم، وهو الصحيح، لكن نجد المحققين للكتاب علّقوا على هذا الموضع سيراً على عقيدتهم الرافضية فقرّروا أن أبا طالب قد أسلم[(٣)]، وهذا من العجب، فقد أثبتوا إسلام الكافر، وأخرجا أبا

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٧٢/٤.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٢٥٤/٧.

(٣) قال محققوا الكتاب عند هذا الموضع: (روي أن الآية نزلت في الحارث بن نعمان بن عبد مناف راجع: شيخ الأبطح ٦٩ ط. بغداد ١٣٤٩، ونقل عن الواسطي نفي نزولها في أبي طالب وذكر الثعلبي في تفسير سورة التوبة نفي الحسن بن فضل لذلك، راجع تفسير قوله تعالى: ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا. وروى ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٩٥ مورد الآية) أنها نزلت في رسول قيصر. ومما يؤيد نزولها في الحارث أن الآية التي بعدها اتفقوا على نزولها في الحارث كما ذكر ابن كثير، وراجع تفسير الكشاف ٢/ ١٦٧ وشيخ الأبطح ٦٩. وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٠/ ٢٤٤ ط. دار إحياء التراث قول جميلة بنت حرب: ... يا أبا طالب مت على دين =

بكر وعمر رضي الله عنهما من الإسلام، وليس هذا محل تحقيق ذلك، ولكن القصد أن ينتبه من يقرأ من هذا الكتاب، فقد اجتمعت فيه مشكلتان؛ مشكلة إيراد الثعلبي للموضوعات والضعيف -كما أسلفنا- ومشكلة أن من قام على تحقيق الكتاب رافضة.

********

=

الإسلام، قال: فلمّا خفت صوته فلم يبق منه شيء، قال: حرّك شفتيه، فقال العبّاس: فأصغيت إليه، فقال قولا خفيا: لا إله إلّا الله، فقال العبّاس للنبي ﷺ: يا ابن أخي قد والله قال أخي الذي سألته. وروي ذلك في الروض الآنف للسهيلي: ١/ ٢٥٨، وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم: ٤/ ٣٥، وسيرة ابن إسحاق: ٢٣٨، والمواهب اللدنية: ١/ ١٣٣ وتاريخ الخميس: ١/ ٣٠٠. ويؤيد ذلك: ما رواه أصحاب التواريخ من قول علي لمعاوية: «ليس أبو طالب كأبي سفيان» وكان ذلك بعد إسلام أبي سفيان فمقتضاه يدل على إسلام أبي طالب. راجع مروج الذهب: ٣/ ١٤، ووقعة صفين: ٤٧١ وربيع الأبرار: ٣/ ٤٧٠. وروى السيوطي أيضا في الرسائل العشرة: ٨٤-٢٥-١٤٠ قول النبي ﷺ: «أوحي إليَّ: إنِّي حرَّمت النار على بطنٍ حملك وحجر كفلك»)

## المطلب الثاني: (النكت والعيون) للماوردي (ت: ٤٥٠هـ)

### التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو: الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الشافعي، الماوردي، نسبته إلى بيع ماء الورد.

ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد، وولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل أقضى القضاة في أيام القائم بأمر الله العباسي، قال أبو الفضل بن خيرون: (كان رجلاً عظيم القدر، متقدماً عند السلطان، أحد الأئمة، له التصانيف الحسان في كل فن، بينه وبين القاضي أبي الطيب في الوفاة أحد عشر يوماً)، واتهم بالاعتزال.

من مؤلفاته: أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، والحاوي–في فقه الشافعية–، ونصيحة الملوك، وتسهيل النظر –في سياسة الحكومات–، وأعلام النبوة، ومعرفة الفضائل، والأمثال والحكم، والإقناع –في الفقه–، وقانون الوزارة، وسياسة الملك، وغير ذلك[١]، وكانت وفاته ببغداد سنة (٤٥٠هـ).

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

– **أولاً**: طُبع هذا الكتاب في الكويت في أربع مجلدات، ثم طبع بدار الكتب العلمية في ست مجلدات بتحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، والطبعة الأولى عليها تعليقات لأحد المسؤولين في المطبعة، فخرج الكتاب بتعليقات مخالفة لتعليقات المحقق، ولذلك بيَّن المحقق هذه التحريفات وهذا الاعتداء في رسالة صغيرة.

– **ثانياً**: اقتصر الماوردي في هذا الكتاب على تأويل ما خفي علمه، وتفسير ما غمض تصوره وفهمه.

– **ثالثاً**: جمع المؤلف بين أقاويل السلف والخلف، موضحاً المؤتلف والمختلف.

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ٢/٦٣٦–٦٤٢، وتاريخ بغداد للخطيب ٥٨٧/١٣، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٦٤/١٨–، وطبقات المفسرين للسيوطي ٨٣/١.

– **رابعاً**: ذكر المؤلف ما سمح به الخاطر من محتملات التفسير وعبر عنه بلفظ (ويحتمل) ليتميز ما نقله عما قاله باجتهاده.

– **خامساً**: قدَّم المؤلف لكتابه بفصول مهمة، ذكر فيها أسماء القرآن، وتقسيم سوره، وتعريف السورة والآية، وبيان معرفة الأحرف السبعة، وإعجاز القرآن، ثم خصَّص فصلاً في النظر إلى جميع ما تتضمنه ألفاظه من المعاني وما تحتمله من التأويل، وهو فصل مهم جداً.

– **سادساً**: شرح الماوردي أثر ابن عباس رضي الله عنهما في أقسام التفسير، وذكر كلاماً جيداً يتعلق بأصول التفسير، ثم شرح الاستعاذة والبسملة، ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة إلى أن ختم بالناس.

– **سابعاً**: يلاحظ أن المؤلف مُتَفَنِّنٌ في ترتيب الأقوال، وتتسم كتبه عموماً بهذا النظام الحسن.

– **ثامناً**: اختصر المؤلف الأسانيد، واكتفى بذكر صاحب القول، مع أنه استفاد من تفسير يحيى بن سلام (ت: ٢٠٠هـ) وتفسير الطبري (ت: ٣١٠هـ) وتفسير الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)– وكلها تذكر الأسانيد.

– **تاسعاً**: أدخل المؤلف أقوال المتأخرين من متكلمي المعتزلة وغيرهم، فوقع في تفسيره بعض الأقوال المرذولة، ولم يشر إلى خطأ هذه المذاهب والأقوال الباطلة، ولذلك نجد بعض الأعلام من المعتزلة تتكرر أسمائهم كثيراً عنده، أمثال محمد بن بحر الأصفهاني (ت: ٣٢٢هـ)، وعلي بن عيسى الرماني (ت: ٣٨٤هـ) –ويعبر عنه أحياناً بالرماني، أو ابن عيسى–، فنقل عن هؤلاء المعتزلة وعن غيرهم فصار كتابه مشحوناً بهذه الأقوال الباطلة.

ومن أمثلة ذلك ما أورده عند قوله جل جلاله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف:٥٤]، قال: (فيه قولان؛ أحدهما: معناه استوى أمره على العرش، قاله الحسن).

**التعليق**

مثل هذا النقل يحتاج إلى تثبت، فعندما نجد عنده نقولاً هكذا عن الحسن وفيه غرابة فينبغي التثبت من نسبتها.

ثم قال: (والثاني: استولى على العرش، كما قال الشاعر: قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ *

مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقٍ. وفي العرش ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه المُلْك كني عنه بالعرش والسرير كعادة ملوك الأرض في الجلوس على الأسرة، حكاه ابن بحر. والثاني: أنه السموات كلها لأنها سقف، وكل سقف عند العرب هو عرش، قال الله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف:٤٢]﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الحج:٤٥] أي: على سقوفها. والثالث: أنه موضع في السماء في أعلاها وأشرفها، محجوب عن ملائكة السماء)(١).

**التعليق**

هكذا نراه لا يبين الصحيح من الضعيف من هذه الأقاويل، وإنما ينقلها فقط.

– **عاشراً**: يعتبر هذا الكتاب من الكتب التي تكثر فيها الأقوال الشاذة، فيمكن بحث هذه الأقوال الشاذة في التفسير ودراستها من خلال هذا الكتاب.

– **حادي عشر**: لا يعتني المؤلف بتداخل الأقوال، فنجده كثيراً يحكي عدة أقوال مع أنها متداخلة، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣]، قال: (أي تأويل القرآن، وفيه وجهان: أحدهما: عاقبته من الجزاء، قاله الحسن، والثاني: ما فيه من البعث والنشور)(٢)، فقد ذكر قولين وهما متداخلان.

– **ثاني عشر**: أكثر المؤلف من ذكر المذهب الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) في كتابه، وذلك لأنه من فقهاء الشافعية –وإن كان يذكر مذاهب العلماء الآخرين–.

– **ثالث عشر**: يعتبر المؤلف من متكلمي الأشاعرة، إلا أن نقله لأقوال المعتزلة وأقوال الرافضة وغيرهم مع عدم تعليقه عليها جعل من عقيدته أمراً مشكلاً عند من يبحث عن معتقده، فنسبه البعض إلى الاعتزال، ونسبه آخرون إلى الرفض.

– **رابع عشر**: يعتني المؤلف بنقل ما يذكره العلماء من المشكلات، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله ﷻ ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف:١٤٢]، قال: (يعني أن اجتماع الأجلين تمام أربعين ليلة، ليدل بذلك على أن

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٢/٢٢٩.

(٢) النكت والعيون للماوردي ٢/٢٢٨.

العشر هي ليال وليست ساعات. فإن قيل: فمعلوم أن العشر مع الثلاثين مستكملة أربعين، فما معنى قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف:١٤٢]؟! فعن ذلك ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه تأكيد في الذكر فلم يمتنع. والثاني: كان وعده إلى الجبل الذي كلمه الله فيه. والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر وأن يكون من جملة الثلاثين لأن تمام الشيء بعض منه)[١]ا.هـ. فكما نلاحظ هنا أنه أورد المشكل ثم علَّق عليه.

- **خامس عشر**: اعتنى المؤلف بنقل الفروق اللغوية، واستفاد في هذا الأمر كثيراً من الرُّمَّاني؛ لأن الرماني في تفسيره يعتني بالفروق اللغوية[٢]، ومثال ذلك قوله: (والفرق بين المساء والعَشِيّ أن المساء بُدُوّ الظلام بعد المغيب، والعشيُّ آخر النهار عند ميل الشمس للمغيب وهو مأخوذ من عشا العين، وهو نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس)[٣]، وهذا النص نقله من كتاب الرماني، وكذلك جل كلام في الفروق اللغوية ينقله من الرماني.

- **سادس عشر**: يعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة التي يستفاد منها في البحث، ولا يصلح أن يكون منهجاً للقراءة في التفسير.

**تنبيه:** طُبع اختصارٌ لهذا الكتاب ونُسب للعز بن عبد السلام (ت: ٥٧٧هـ)، وفي نفسي من هذه النسبة شيء، لأمور هي:

١- أن كتاب الماوردي فيه نقول عن المعتزلة، والعز بن عبد السلام كان أشعرياً، فكيف يقبل هذه الأقوال دون أن يرد عليها؟!

٢- أن كتاب الماوردي مرتَّب ومنظم، والأقوال فيه منسوبة إلى قائليها، أما المختصر فليس فيه نسبة شيء من الأقوال لأحد، ولذلك قلَّت الفائدة منه.

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٢/٢٥٦.

(٢) ينظر أيضاً: مقال بعنوان: (عن تفسير الرماني)، من كتاب: (مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير) (٢)، للدكتور: مساعد الطيار، ٢/٤٨٠-٤٨٢، وينظر: التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار، ص: ٢٠٨-٢١٠.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٤/٣٠٤، وينظر: تفسير الرماني.

إلا أن يكون العز بن عبد السلام قد اختصره لنفسه للمراجعة كعادة بعض من العلماء، وحينئذٍ لا يعتبر اختصاراً لتفسير الماوردي يدل على قناعة المؤلف به ورضاه عنه؛ إذ كيف يكون المؤلف أشعرياً ويثبت في كتابه نقولاً عن المعتزلة بلا ردٍّ عليها؟!

وأشير هنا إلى قضية أخرى، وهي أن هذا المختصر لا يفيد إطلاقاً مع وجود تفسير الماوردي، ذلك لأن كتاب الماوردي مرتَّبٌ ومنظَّمٌ، والأقوال فيه منسوبةٌ إلى قائليها، في حين أن المختصر حذف نسبة الأقوال.

********

## المطلب الثالث: (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ)

### التعريف بمؤلف هذا التفسير:

هو: الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بـ: (إمام علماء التأويل)، وكان من أولاد التجار، أصله من ساوة، بين الري وهمذان.

من مؤلفاته: في التفسير: (البسيط، والوسيط، والوجيز)، ألفها بحسب طبقات المتعلمين، وله كتب أخرى سبقت هذه التفاسير مثل: (معاني التفسير، ومسند التفسير، ومختصر التفسير)، وقد أشار إليها في هذا الكتاب الذي نعرف به.

ومن مؤلفاته في غير التفسير: أسباب النزول، وشرح الأسماء الحسنى، وغيرها من المؤلفات النافعة، وكانت وفاته بنيسابور سنة (٤٦٨ هـ)(١).

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

– **أولاً**: ابتدأ المؤلف كتابه بمقدمة ذكر فيها فضل العلم، وفضل علم التفسير خاصة، ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة إلى أن ختم بسورة الناس.

– **ثانياً**: ذكر المؤلف أن سبب تأليفه لهذا الكتاب إلحاح بعض معاصريه، فقال: (وَقَدِيمًا كُنْتُ أُطَالِبُ بِإِمْلاءِ كِتَابٍ فِي تَفْسِيرٍ "وَسِيطٍ" يَنْحَطُّ عَنْ دَرَجَةِ "الْبَسِيطِ" الَّذِي تُجَرُّ فِيهِ أَذْيَالُ الأَقْوَالِ، وَيَرْتَفِعُ عَنْ مَرْتَبَةِ "الْوَجِيزِ" الَّذِي اقْتَصَرَ عَلَى الإِقْلالِ))(٢).

– **ثالثاً**: يورد المؤلف بعض الأحاديث والآثار مسندةً في بعض الأحيان، لكنه لم يعتمد هذا المنهج عموماً.

– **رابعاً**: يعتني المؤلف بمعاني الألفاظ، وكثيراً ما يعتمد على كتاب تهذيب اللغة للأزهري (ت: ٣٧٠هـ).

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلّكان ٣/٣٠٣، ومعجم الأدباء لياقوت ٤/١٦٥٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٨/٣٣٩-٣٤٢، وطبقات المفسرين للسيوطي ١/٧٨.

(٢) مقدمة الواحدي لتفسيره الوسيط ١/٥٠.

- **خامساً**: استفاد كثيراً من نقولات شيخه (الثعلبي) في التفسير.

- **سادساً**: يعتني المؤلف ببيان المعنى الجملي للآية، وذلك بعد ذكره لأقوال المفسرين، وغالباً ما يصدرها بقوله: (والمعنى) أو (ومعنى الآية)، ومثال ذلك قوله عند تفسير قول الله ﷻ ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر:٥]: (﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر، ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ لذي عقل ولُبٍّ، والمعنى: أن من كان ذا عقل ولُبٍّ علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على صنع الله وقدرته وتوحيده، فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه)[١].

- **سابعاً**: يعتني المؤلف بإيراد بالقراءات وتوجيهها، ومن أمثله ذلك: ما ذكره عند قول الله ﷻ: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة:٢١٩]، قال: (وقراءة العامة كبير –بالياء–؛ لأن الذنب يوصف بالكبر والعظم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [النجم:٣٢]، ﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء:٣١]، كذلك ههنا ينبغي أن يكون بالباء، ألا ترى أن شرب الخمر والميسر من الكبيرة؟ وقرأ حمزة والكسائي بالثاء؛ لأنه قد جاء فيها ما يقوي وصف الإثم فيهما بالكثرة دون الكبر، وهو قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ ﴾ [المائدة:٩١]، فذكر عدداً من الذنوب فيهما، ولأن النبي ﷺ لعن عشرة في سبب الخمر فدل على كثرة الإثم فيهما))[٢].

- **ثامناً**: يعتني المؤلف بأسباب النزول عنايةً فائقةً، وله في أسباب النزول كتاب مطبوع ومتداول[٣].

- **تاسعاً**: يروي المؤلف الأحاديثَ الباطلة في فضائل السور، وقد سبق نقد شيخ الإسلام له ولشيخه الثعلبي[١]، فقد كان –رحمه الله– ضعيف العلم بالحديث.

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/٤٨١.

(٢) الوسيط للواحدي ١/٣٢٣.

(٣) طبع هذا الكتاب عدة طبعات، من أفضلها طبعة دار الميمان، بتحقيق د: ماهر ياسين الفحل.

– **عاشراً**: صان المؤلف كتابه عن النقل عن الصوفية، فلم يتابع شيخه الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) في ذلك، وللواحدي كلام شديد في أبي عبد الرحمن السلمي وكتابه (حقائق التفسير)[٢].

– **حادي عشر**: يورد المؤلف الإعراب، لكن بقِلَّة.

– **ثاني عشر**: يعتني المؤلف بذكر أقوال أهل المعاني وأقوال المفسرين، ويصدِّر قول أهل المعاني، بقوله: (قال أهل المعاني)، ويصدِّر أقوال المفسرين بقوله: (قال أهل التفسير).

– **ثالث عشر**: كان المؤلف –رحمه الله– أشعري العقيدة، وقد سار في كتابه على هذا المنهج.

– **رابع عشر**: لا يخلو هذا الكتاب من الإسرائيليات؛ وذلك لأنه يعتمد على المنقولات.

وبين يدينا نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في رَدِّه على البكري، أشار إلى الواحدي وجملة من المفسرين، قال: (ومثل هذا[٣] لا يرويه إلا أحد الرجلين؛ رجل لا يميز بين الصحيح والضعيف، والغث والسمين، وهم جمهور مصنفي السير والأخبار وقصص الأنبياء؛ كالثعالبي، والواحدي، والمهدوي، والزمخشري، وعبد الجبار بن أحمد، وعلي بن عيسى الرماني، وأبي عبد الله بن الخطيب الرازي، وأبي نصر بن القشيري، وأبي الليث السمرقندي، وأبي عبد الرحمن السلمي، والكواشي الموصلي، وأمثالهم من المصنفين في التفسير؛ فهؤلاء لا يعرفون الصحيح من السقيم، ولا لهم خبرة بالمروي المنقول، ولا لهم خبرة بالرواة النقلة، بل يجمعون فيما يروون بين الصحيح والضعيف، ولا يميزون بينهما، لكن منهم

---

=

(١) قال شيخ الإسلام: (وفي التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة، مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم. والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف، والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة) مجموع الفتاوى ١٢/٣٥٤.

(٢) لم أقف على كلام الواحدي في أبي عبد الرحمن السلمي.

(٣) يتكلم عن أثر ضعيف.

من يروي الجميع ويجعل العهدة على الناقل،؛كالثعلبي ونحوه، ومنهم من ينصر قولاً أو جملةً، إما في الأصول أو التصوف والفقه...)[١].

وذكر الثعلبي وإشكالية نقولاته في أكثر من موطن، منها قوله: (وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي، وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدعة-وإن ذكرها تقليداً لغيره-، وتفسيره وتفسير الواحدي "البسيط، والوسيط، والوجيز" فيها فوائد جليلة، وفيها غثٌّ كثيرٌ من المنقولات الباطلة وغيرها)[٢].

وفي هذا النقل نلمس إنصاف وعدالة شيخ الإسلام في نقده للرجال -رحمه الله-.

- **خامس عشر**: يصلح هذا الكتاب أن يكون منهجاً للقراءة، ويعد مرجعاً لمرحلة المتوسطين في علم التفسير، مع ملاحظة ما فيه من الإشكاليات التي سبق ذكرها، وذلك لتكامل المادة التفسيرية فيه، وليس فيه تلك الأباطيل الكثيرة الموجودة في مثل (النكت والعيون) للماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، فلو قارنَّا مثلاً بينه وبين كتاب (النكت والعيون)؛ لوجدناه أكثر منه فائدة.

### نموذج من تفسير الوسيط للواحدي:

قال المؤلف: (﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [ص:١٥] يعني كفار مكة، أي: ما ينتظرون لوقوع العذاب بهم، ﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعني: النفخة الأخيرة، ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١٥﴾ وقرئ بالضم، قال الزجاج. فواق وفواق بضم الفاء وفتحها، أي: ما لها من رجوع. والفواق ما بين حلبتي الناقة، وهو مشتق من الرجوع أيضاً، لأنه يعود اللبن إلى الضَّرْع بين الحلبتين، وأفاق من مرضه أي رجع إلى الصحة. قال مجاهد: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ١٥﴾: رجوع. أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع، وهو معنى قول مقاتل: من مرد ولا رجعة. وقال قتادة، والضحاك: ليس لها مَثْنَويَّة. أي صَرْف ورَدّ، والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف حتى يبعثوا وينجز لهم ميعاد العذاب.قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ

---

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/٣٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٣/٣٨٦.

﴿يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ [ص:١٦] معنى القط في اللغة: النصيب، من القط بمعنى القطع، والنصيب إنما هو القطعة من الشيء، وتسمى كتب الجوائز قطوطاً لأنهم كانوا يكتبون الأنصباء من العطايا في الصحائف. يقال: أخذ فلان قِطَّه إذ أخذ كتابه الذي كتب له بجائزته وصلته، ثم سميت الكتب قطوطاً وإن لم تكن للصلة، والمفسرون مختلفون على هذين القولين: فقال ابن عباس: قطنا، حظنا من العذاب والعقوبة. وقال قتادة: نصيبنا من العذاب، يقولون ذلك استهزاء. وقال سعيد بن جبير، والسدي: لما ذكر لهم ما في الجنة ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا﴾ نصيبنا منها في الدنيا. وقال أبو العالية، والكلبي، ومقاتل: لما نزلت ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة:١٩] ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة:٢٥] قالت قريش: زعمت يا محمد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا، فعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب تكذيباً له)[1].

*******

(١) الوسيط للواحدي ٣/٥٤٢-٥٤٣.

## المطلب الرابع: (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للواحدي (ت: ٤٦٨هـ)[١]

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

- **أولاً**: طبع هذا الكتاب في مجلدين بتحقيق الدكتور: صفوان داوودي، وقد ألفه الواحدي أثناء تأليفه لكتابه الكبير البسيط حيث قال: (فإني كنت قد ابتدأت بإبداع كتاب في التفسير لم أسبق إلى مثله، وطال عليَّ الأمر في ذلك لشرائط تقلدتها، ومواجب من حق النصيحة لكتاب الله تعالى تحملتها، ثم استعجلني قبل إتمامه والتقصي عما لزمني من عهدة أحكامه، نفرٌ متقاصروا الرغبات منخفضوا الدرجات أولوا البضائع المزجاة، إلى إيجاز كتاب في التفسير يقرب على من تناوله ويسهل على من تأمله من أوجز ما عمل في بابه وأعظمه فائدة على متحفظيه وأصحابه، وهذا كتاب أنا فيه نازل إلى درجة أهل زماننا تعجيلاً لمنفعتهم وتحصيلاً للمثوبة في إفادتهم ما تمنوه طويلاً فلم يغني عنهم أحد فتيلاً)[٢].

- **ثانياً**: يبدو أن هذا الكتاب هو أول تفسير وجيز متكامل.

- **ثالثاً**: اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على قولٍ واحد، ولم يحكِ الخلاف إلا قليلاً، وهذا مما يميزه؛ فيصلح للمبتدئين.

- **رابعاً**: اعتمد المؤلف قولَ ابن عباس ﷺ، أو من هم في درجته.

- **خامساً**: يفسر المؤلف اللفظَ العويصَ بأسهل منه، ولذا قال: (وتارك ما سوى قولٍ واحدٍ، معتمدٍ على ابن عباس ﷺ أو من هو في مثل درجته، كما يترجم عن اللفظ العويص بأسهل منه)[٣].

(١) سبق التعريف بالمؤلف في الموضوع السابق.

(٢) الوجيز للواحدي ١/٨٧.

(٣) الوجيز للواحدي ١/٨٧.

نموذج من تفسير الوجيز:

قال -رحمه الله-: (﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[ص:١٥]، أي: ما ينتظر هؤلاء كفار مكَّة ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ وهي نفخة القيامة ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾: رجوعٌ ومردٌّ. ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾[ص:١٦]: كتابنا وصحيفة أعمالنا. ﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ وذلك لما نزل قوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة:١٩] ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة:٢٥] سألوا ذلك، فنزلت هذه الآية. وقوله: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ [ص:١٧]أي: ذا القوَّة في العبادة. ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾: رجَّاع إلى الله سبحانه. ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾ [ص:١٨] يجاوبنه بالتَّسبيح. ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ يعني: الضُّحى. ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ [ص:١٩] أَيْ: وسخَّرنا الطَّير. ﴿مَحۡشُورَةٗ﴾: مجموعةً. ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ﴾: لداود. ﴿أَوَّابٞ ١٩﴾: مطيعٌ يأتيه ويسبِّح معه. ﴿وَشَدَدۡنَا﴾ [ص:٢٠]: بالحرس، وكانوا ثلاثةً وثلاثين ألف رجلٍ يحرسون كلَّ ليلةٍ مِحْرابَه)(١).

وقد قصدت أن أنقل كلام الواحدي على نفس الآيات التي نقلتها من تفسيره (الوسيط)؛ لنلاحظ الفرق بين منهجه في الكتابين؛ ففي الوجيز يلاحظ أنه وجيز كاسمه، وفي (الوسيط) نلاحظ أنه يذكر بعض النقولات والقراءات وغير ذلك، فهو أوسع من (الوجيز)، أمَّا في (البسيط) فنجده يستطرد في ذكر أشياء لا علاقة لها أصلاً بالتفسير، فيستطرد في ذكر الاشتقاقات، والتصريفات، وأشعار العرب وغير ذلك، فكأنه كتاب لغةٍ أو نحوٍ.

*******

(١) الوجيز للواحدي ٢/٩٢٠-٩٢١.

# فهرس الموضوعات